عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 74 / 16 حزيران 2016

للفنانة ديالا برصلي

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

رمضاننا الطويل

يرصد مراسلونا في هذا العدد حلول شهر رمضان في أكثر من مكانٍ من سورية؛ مدينة دير الزور المحاصرة والرقة ومدينة حلب المحرّرة وإدلب. ومع اختلافاتٍ في التفاصيل يسبغ الجوع والفقر والموت ألوانهم القاتمة على المشهد في هذه المدن وفي سواها.

مرّت العديد من شهور الصوم صعبةً على السوريين خلال السنوات الماضية، لكن الأمل كان يلوح لهم دوماً، تختصره عبارة «إن شا الله السنة العيد عيدين»، قاصدين رحيل الأسد وبداية انطلاق حياةٍ حرّةٍ وكريمة في ظلّ سورية الجديدة. ولكن إحدى جرائم بشار الكبرى هو أنه أفسد عذرية الأمل في النفوس كما أحرق البلاد. فلم يعد التفاؤل الثوريّ البسيط والمباشر كافياً أمام تعقيدات التدخلات الإقليمية والدولية التي زجّ النظام الجميع في دوامتها المستمرّة، حتى لو رحل الأسد في أيّ وقت، مخلفاً وراءه كل هذا الخراب المفتوح على نزاعاتٍ محليةٍ استشرت ومحاور خارجيةٍ لم يعد الانفكاك عنها ممكناً.

وهكذا يأبى النظام إلا أن يسمّم مستقبل السوريين كما حنّط ماضيهم وأحرق حاضرهم، وهكذا نستنتج أن بيننا وبين العيد صومٌ طويلٌ وعناءٌ كبيرٌ لن يمرّا بسهولة، وهكذا نتبيّن أن التمحيص الذي نمرّ به وتُمتحن فيه معادن الرجال والنساء أقسى بكثيرٍ من مجرّد الأغنيات البهيجة التي قضينا معها ليالي رمضان 2011.

غير أنه لا بديل عن استعادة روح التفاؤل الجماعيّ المتألقة تلك حتى تثمر كلّ هذه العذابات عيدنا المرتقب بعد انقضاء هذا الصوم المديد.

3 عرب «سوريا الديمقراطية» يحاصرون منبج، وداعش ستقاتل حتى الموت

5-4 صورةٌ شعاعيةٌ للقامشلي بعيون مهندسٍ من دير الزور

7 ثورة أهل القرآن

8 في العشارة، حيث لم يبايع داعش

10-13 رمضان من مدنٍ عدّة (ملف)

14 الممانعة كهوية، التطبيع كخيانةٍ استنسابية

18 جاذبية داعش

19 النقابي الشيوعي بدر الدين شنن وضابط المخابرات محمد شوشة

عرب «سوريا الديمقراطية» يحاصرون منبج وداعش ستقاتل حتى الموت

ميلاد بهنو

باتت مدينة منبج محاصرةً من جميع الجهات بعد السيطرة النارية لـ«قوات سوريا الديمقراطية» على طريق حلب - الحسكة الدوليّ في الجهة الغربية للمدينة

وخلال اليومين الأخيرين أحرزت هذه القوات المزيد من التقدم من أربعة محاور لتصل، في بعض القرى التي سيطرت عليها، إلى مسافة 3 كم عن المدينة، وتسيطر على كلٍّ من قرى السلطانية والرسم الأخضر والخطاف إضافةً إلى سوق الغنم شرقي منبج، وقريتي الذيابات وتل الياسطي في الشمال، وعلى قناة الشيخ طباش وقرى حاج عابدين وكابر صغير ومزرعة الحمدون من الجنوب الغربي والجنوب. تشكّل هذه القرى المحيط الملاصق تماماً لمنبج من الجهات الأربع، مما يجعل أطراف المدينة هدف أيّ تقدم وشيك للقوات المهاجمة، وينقل المواجهات إلى داخل المدينة.

من يهاجم منبج

قبل إطلاق العمليات الأخيرة كانت الصبغة المتنوعة عرقياً بين عربٍ وأكرادٍ لما يعرف بـ«قوات سوريا الديمقراطية» صبغةً شكلية، يراد بها صرف الانتباه عن النواة المتطرّفة قومياً لهذه القوات والمتمثلة في (ypg)، الذراع العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي (pyd) الكردي. ولعبت المجموعات العربية المنضوية تحت راية هذه القوات دوراً هاماً في هذه العملية الدعائية، دون أن تكون لها أدوارٌ قتاليةٌ حقيقية، أو تسند إليها وظائف قياديةٌ فعليةٌ في إدارة المناطق العربية المنتزعة من سيطرة التنظيم في محافظات الحسكة والرقة وحلب. لكن ما ميّز معركة منبج عن سواها من المعارك السابقة لـ«سوريا الديمقراطية»، حتى الآن، هو صعود العنصر العربي وتوليه أعباء المواجهات مع داعش وتراجع (ypg) وتوليهم أدواراً أخرى في الخطوط الخلفية للجبهات.

في أول نيسان الماضي، ومن موقع سد تشرين المنتزع حديثاً من سيطرة داعش، أعلنت سبعة فصائل هي (لواء جند الحرمين، كتائب شمس الشمال، كتائب ثوار منبج، لواء القوصي، كتيبة تركمان منبج، تجمع شهداء الفرات، تجمع ألوية الفرات) تأسيسها المجلس العسكريّ لمنبج وريفها. تشكل معظم هذه الفصائل أثناء وبعد تحرير منبج من قوات الأسد في الشهر السابع من عام 2012. وباستثناء كتائب شمس الشمال التي يتحدر معظم مقاتليها من الأقلية الكردية في مدينة منبج، وكتيبة تركمان منبج، يشكل العرب أغلبية مقاتلي الفصائل الأخرى. ومثل معظم فصائل الجيش الحرّ مرّت هذه الفصائل بتحولاتٍ كثيرةٍ أدت إلى انخفاض أعداد مقاتليها إلى مرتبة العشرات. وقد قاتل بعضها تنظيم داعش في معارك عين العرب/كوباني والمعارك الأخرى في ريفي الرقة وحلب إلى جانب (ypg)، قبل أن تنضم فرادى إلى «قوات سوريا الديمقراطية» بعد تشكيلها أواخر العام الفائت، انتهاءً بانضمام لواء جند الحرمين، أعرق التشكيلات العربية وأكثرها عدداً، مما يجعل المجلس العسكريّ لمنبج جزءاً عضوياً من «قوات سوريا الديمقراطية».

وحسب الأرقام التي يتداولها مقرّبون من هذا المجلس، يتراوح مجموع مقاتليه بين 500 إلى 600. فيما يخضع حوالي 400 متطوّع جديدٍ لدورةٍ تدريبيةٍ في المعسكرات المفتتحة قرب سد تشرين، مما سيرفع عدد مقاتلي المجلس إلى حدود الألف خلال وقتٍ قريب، وخاصّةً مع توسع دوائر الانضمام بخروج المزيد من قرى وبلدات ريف منبج عن سيطرة التنظيم.

فرص داعش المتضائلة

حسب الأنباء القليلة المتسرّبة من داخل منبج، يبدي قادة داعش عزمهم على القتال حتى الرمق الأخير. وقد عزّزوا خطوط دفاعاتهم الأخيرة في التحصينات والخنادق المحفورة في أوقاتٍ سابقة، إضافةً إلى حفر خنادق جديدة، مع تكثيف عمليات تفخيخ الأبنية الطرفية والبيوت والشوارع وحتى بعض السيارات. وفي الجمعة الأخيرة شدد خطباء الجوامع المنتمون إلى داعش على ضرورة الصمود، داعين الأهالي إلى حملٍ السلاح إلى جانب مقاتلي التنظيم دفاعاً عن المدينة أمام هجمة «الملاحدة الكرد وصحوات الردة» الذين سمّوهم «لصوصاً وقطاع طرق». ومثل مسؤولي داعش توعد الخطباء المهاجمين بمقاومةٍ مستميتة، وبأنهم لن يدخلوا منبج إلا على جثث «جنود الدولة»، وحتى «لو لم يبق حجرٌ على حجر» في المدينة. وحتماً سيؤدي إحكام الحصار وإغلاق محاور الانسحاب المحتملة أمام جنود التنظيم إلى مقاومةٍ أشد من جانبهم، وستتحول المعارك -بمجرّد اجتياز المهاجمين المسافات القصيرة المتبقية- إلى حرب شوارع مدمّرةٍ لن يعمل فيها طيران التحالف المساند بالفعالية ذاتها في المناطق المكشوفة، كما سيؤدي اعتماد داعش على المفخخات والعمليات الانتحارية إلى خسائر بشريةٍ فادحةٍ في صفوف المهاجمين. ويضاعف من دقة الأوضاع وخطورتها عشرات آلاف المدنيين المحاصرين من أهل المدينة الذين تقطعت بهم السبل وظلوا أسارى لدى التنظيم.

صورةٌ شعاعيّةٌ للقامشلي
بعيون مهندسٍ من دير الزور

دوار الهلالية-خاص عين المدينة

نصر القاسم

تضمّ مدينة القامشلي وريفها (شمال شرقيّ سوريا) الكثير من النازحين من مختلف المناطق. وبحسب العديد من المنظمات الإغاثية يشكّل أهالي دير الزور أكثر أولئك النازحين، لقربها جغرافياً منهم، ولاستقرارها النسبيّ، وبعدها النسبيّ كذلك عن قوّات النظام وتنظيم الدولة. لكن تلك النسبية تنفتح على واقعٍ بعيدٍ كلياً عن الإعلام يعيشه المهندس المدنيّ أبو حمزة، كما الكثير من أبناء دير الزور الذين يقطنون اليوم في القامشلي.

ينظر أبو حمزة إلى ما يحدث في القامشلي بعيون المراقب. وقد أمدّته بميزة المتابعة الدائمة للتطورات معرفته بالكثير من الجامعيين والناشطين والحقوقيين والموظفين الذين جاءوا معه من دير الزور أو تعرّف إليهم في غربته الجديدة.

القوى العسكريّة والفوضى المقنّعة

أعلنت الإدارة الذاتية القامشلي عاصمةً لما سمّته روج آفا، بحسب حزب الاتحاد الديمقراطي صاحب السطوة الأكبر في تلك المنطقة. وتعني التسمية غرب كردستان، وتشمل الأراضي الممتدة من القامشلي حتى عفرين. وتمثل وحدات حماية الشعب، الذراع العسكريّ للحزب، أهم القوى المسلحة في القامشلي، إلى جانب الآسايش (قوات الأمن الداخلي الكردية) وقوات حماية المرأة. لكن العديد من الشهادات تفيد بأن «الكادرو» (أو الهاربين من الجبل، وهم مسؤولون حزبيون من جبل قنديل لا يجيدون العربية ويرافقهم مترجمون) هم الذين يديرون المدينة. وتسيطر ميليشيا الدفاع الوطني على أحياء عربية، وخاصّةً حيّ طي. مع وجودٍ صغير لكنه حاسمٌ لقوات النظام في المربع الأمنيّ ومطار القامشلي، حيث السلاح الثقيل الذي لوّح به النظام في اشتباكاتٍ سابقة. وبالإضافة إلى القوات الروسية في المطار هناك، على مسافة 65 كم منه، قاعدةٌ أميركيةٌ في مطار أبو حجر في رميلان، كما يجري الكلام عن تأسيس قاعدةٍ فرنسيةٍ في المستقبل. ويعيش في المدينة مهاجرون من بلجيكا وألمانيا وبريطانيا وغيرها جاؤوا بدعوى قتال تنظيم الدولة.

بين كلّ هؤلاء يتجمع قسمٌ من المسيحيين في ميليشيا السوتورو التي تتمركز في الأحياء المسيحية من المدينة، وتتلقى الدعم والسلاح من النظام. بينما يتعاون قسمٌ آخر من المسيحيين، باسم المجلس العسكريّ السريانيّ، مع جيش الصناديد الذي يعبّر عن قبيلة شمّر وفصائل من الجيش الحرّ تركت دير الزور مع سيطرة تنظيم الدولة الذي جمع كلّ هذه القوى العسكرية والميليشيات والفصائل على هدفٍ مشتركٍ هو قتاله، لكن مع خلافاتٍ كثيرةٍ في التفاصيل والأهداف تظهر بين الحين والآخر على شكل اشتباكاتٍ ونزاعاتٍ وقصفٍ وخطفٍ واعتقالٍ متبادل.

القوى المدنيّة والأوتار الحسّاسة

ما زالت الدوائر والمؤسّسات الحكومية تعمل في القامشلي، وترحب الوحدات بوجودها لتجنّب الصدام مع تركيا -بحسب البعض- وللاستفادة من خدماتها. فهناك دوائر المحكمة والسجل المدنيّ والمصارف وغيرها، إلى جانب تلك التي شكلها الأكراد في عمر الثورة، كالمحكمة أيضاً ومراكز جباية المياه والكهرباء ومجلس المدينة، ويسّيرها حزب الاتحاد الديمقراطيّ الذي فرض العديد من الضرائب على النظافة وحماية الأسواق. وتمتد الحكومة الكردية المشكلة في عامودا إلى القامشلي، وتضمّ 14 «وزارة» بالإضافة إلى دار الشعب. وتسيطر الإدارة الذاتية على حقل رميلان النفطيّ، ويعمل فيه موظفون من الإدارة ومن النظام لتكون الأرباح مناصفةً بينهما. كما تسيطر الإدارة على التعليم الأساسيّ بينما الإعداديّ والثانويّ من حصّة النظام الذي يدفع رواتب جميع المعلمين.

وتوجد في القامشلي العديد من المنظمات الدولية، كبرنامج الأغذية العالميّ التابع للأمم المتحدة WFP وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP ومنظمة الفاو واليونيسكو، والكثير من المنظمات العالمية غير الحكومية، كمنظمة كير وأطباء بلا حدود. إلى جانب عشرات الأحزاب والمنظمات والجمعيات الأهلية التي تقيم الورشات والنشاطات بشكلٍ دائم حول العدالة الانتقالية والدعم النفسيّ والحوار وحلّ النزاعات والتماسك الاجتماعيّ. بالإضافة إلى هيئاتٍ ومنظماتٍ وجمعياتٍ محسوبةٍ على الثورة تعمل في المدينة بشكلٍ سريّ.

الفورة الاقتصادية

يغذي معبر فيشخابور (سيمالكا) القامشلي ومحيطها بجميع مستلزمات الحياة. وقد أغلقه إقليم كردستان العراق في وجه الإدارة الذاتية مع إعلان فيدرالية (روج آفا)، لترتفع الأسعار سريعاً وتودع العديد من البضائع السوق. لكنها أعادت فتحه في 7 حزيران الجاري لتدخل في اليوم التالي شحنات الطحين إلى المدينة. ولوجود عددٍ كبيرٍ من الأشكال التنظيمية، وبسبب واردات النفط وصوامع الحبوب في تل حميس وتل براك، ورواتب العاملين في الدوائر الحكومية والكردية، ورواتب المسلحين من كل الأطراف، والدعم المادي القادم من أحزاب وتجمعات كردية في الخارج ومنظمات إغاثية كثيرة ومساعدات المغتربين، بالإضافة إلى العاملين في الصحف المحلية الجديدة و8 قنوات تلفزيونية و12 قناة راديو؛ فإن سوق القامشلي يشهد تدفقاً كبيراً في العملة الأجنبية حتى صار التعامل بالدولار الأميركيّ هو السائد في كثيرٍ من المحالّ التجارية.

الوافدون

يعيش في القامشلي ومحيطها 200 ألف نسمة بحسب إحصاء 2003. ويقدّر ناشطون اليوم عددهم بـ300 ألفٍ مكوّنين من الأكراد والعرب والأرمن والسريان والكلدان وغيرهم. وبحسب بيانات أكثر من منظمةٍ إغاثيةٍ فقد توافدت إلى المدينة 10000 عائلةٍ من دير الزور و7000 من حلب و1500 من الرقة و800 من حمص و500 من ريف دمشق. وقد قيّدت وحدات حماية الشعب استقبال هؤلاء النازحين وتنقلهم، وتشترط لذلك وجود سند إقامةٍ وعقد إيجار وكفالةٍ من شخصٍ كرديٍّ وورقةٍ من المختار (كومين) وموافقةٍ قوات الأساييش ودار الشعب. لكن الوحدات وجميع المؤسّسات المحلية التابعة للإدارة الذاتية في المدينة تفتح أبواب العمل لديها للوافدين الذين قد تصل رواتبهم إلى 90 ألف ليرةٍ سورية. ويمنحهم حزب الاتحاد الديمقراطي هوية عملٍ خاصّةٍ تحمل اسم «الوزارة» المحلية التي يعملون فيها، كالإعلام أو الداخلية أو العدل، لتيسير شؤون حاملها. كما ترحّب الإدارة بالوافدين في قوّاتها المسلحة. ويستثنى من العمل والتطويع أهالي الغمر.

على أن كلّ ما ورد أعلاه لا يمتّ لأبو حمزة بصلة، رغم أنه سجّله لـ«عين المدينة» بعين المهندس الذي كانه قبل خروجه من دير الزور باتجاه القامشلي.

أصدقاء المهندس الجدد

«ناس تشتغل معاهم مشان المصاري، وناس لأنه خايفة منهم، وناس مشان ما تنطرد من أراضيهم»؛ هكذا يلخص أبو حمزة الأسباب التي تدفع الوافدين إلى العمل مع القوى المسيطرة في القامشلي. أما هو فيقول: «عرضوا علي اشتغل معاهم بمجلس المدينة، بس الشغل معاهم خيانة للثورة». وفضّل بيع مصاغ زوجته والعمل كسائق أجرةٍ على سيارة سابا اشتراها بثمن المصاغ. وعندما صار الوقود سلعةً نادرةً اضطرّ إلى بيع السيارة والبحث عن عملٍ آخر. وخلال بحثه كان «يتعكز» مع طفليه على راتب زوجته الذي سرعان ما قطعه قرار محافظ دير الزور بفصلها. وجد أبو حمزة عملاً في فرن لقاء 400 ليرةٍ في اليوم، لكن صاحب الفرن تخلى عنه لتشغيل أحد الأكراد من المنطقة. فتوسّط أحد معارفه السابقين لدى صاحب مقهى لتشغيله بأجر يوميٍّ قدره 700 ليرة. وفي العمل تعرّف إلى أحمد طالب ماجستير الكيمياء، وأخيه الصيدليّ الذي يعمل على بسطة خضرة، وأختيهما المهندسة الزراعية ومدرّسة اللغة الإنكليزية اللتين تعملان في حفر الكوسا والباذنجان وتقطيف الملوخية لتباع لأثرياء القامشلي. وعن طريق هؤلاء صار يعرف قائمةً طويلةً من الجامعيين الذين يتدرّجون في العمل من قيادة التكسي إلى تنظيف البيوت.

غربة

بعد مدّةٍ من عمله في المقهى اختاره الشغيلة للطلب من صاحبها رفع أجورهم، فطرده من العمل مع جملةٍ تتردد في مسامعه حتى اليوم: «الحقّ علينا شغلناكم»، صارت مكبّرةً ينظر من خلالها إلى المحيط الذي يعيش وسطه. فهو محرومٌ من أكثر فرص العمل لعدم معرفته باللغة الكردية، كما أن العديد من أصحاب المهن لا يشغلون أهالي الدير.

في ظلّ العوز الذي يعيشانه صارت زوجته تستعمل أكياس القمامة السوداء لتحفيض طفلتهما الجديدة التي أسمياها غربة، وهاجسهما الوحيد تأمين حليب الأطفال لها. في حين بدأ أبو حمزة، وقد واكب عمليات تهجير قامت بها وحدات الحماية في حقّ العرب والمسيحيين يعيد النظر في أولوياته: «ممكن أقدّم على مديرية أو مؤسّسة تابعة للإدارة الذاتية مشان شغلة وحدة؛ محّد يطردني من هون إذا صار طرد أو محّد يقرّب عليّ».

خاص عين المدينة

حكاية عائلة من مدينة عندان

أبو محمد الإدلبي

حطّت سيارةٌ تحمل حوالي عشرة أشخاص، بين رجال ونساءٍ وعددٍ من الأطفال، أمام منزل أبو أيمن. كانت محمّلةً بأغراضٍ منزليةٍ وأدوات مطبخ وبعض المواد الغذائية. دخل الجميع إلى المنزل المؤلف من غرفتين وصالون: النساء في غرفةٍ والرجال في الثانية والأمتعة في الصالون. رحّب أبو أيمن وزوجته بالضيوف، وجلس الجميع يلتقطون أنفاسهم حول المدفأة.

كان ذلك في صبيحة يوم شتويٍّ من شباط الماضي، عندما هاجم الجيش الأسديّ والميليشيات الموالية له الريف الشماليّ لحلب. وسط الصواريخ والقذائف ودويّ انفجاراتٍ هائلةٍ تُسمَعُ من أماكن بعيدة؛ نزح بعض السكان إلى الشمال نحو الحدود التركية، فيما اختار آخرون الذهاب إلى قرى ريف إدلب الشماليّ. كان أبو أيمن أحد معارف الحاج محمود في ريف إدلب فذهبت العائلة إليه وحطّت رحالها عنده ريثما يتبيّن الوضع. كبير الأسرة، الحاج أبو محمد، في الخامسة والثمانين. من شاهد فيلم عمر المختار كأنه شاهد أبو محمد. الفرق بين الاثنين هو أن المختار أطول قليلاً. يقول أبو محمد: «صارت القنابل والصواريخ تنزل على عندان كالمطر. خفنا على الأطفال الصغار. ما ذنبهم؟! لم نكن نريد مغادرة البلدة، لكن النسوة طلبنَ مني أن نرحل. سنرى ماذا سيحصل». يتكلم الحاج بهدوءٍ وصرامةٍ واعتزاز. جلس أبناؤه حوله؛ محمود في الخامسة والخمسين، ومصطفى في الأربعين، وحسن في الخامسة والثلاثين، ومعهم حفيده عبد الرحمن بن محمود. قال محمود: «في عندان كل شيء متوفر: الخبز المجاني، البطانيات والفرش، المازوت، الملاجئ... ماذا سنفعل هنا؟ الجلوس في غرفةٍ ننتظر الفرج؟! في البلدة موزّع خبزٍ يركن شاحنته الصغيرة ويتجمّع حوله الشباب يتبادلون الأحاديث على الرصيف. عندما تأتي الطائرة يركض الجميع إلى الملاجئ إلا هو فيبقى جالساً.

بعد أن تُفرِغ الطائرة حمولتها يصرخ بأعلى صوته: نزلت القنبلة على بعد خمسين متراً من المكان الفلاني، أو على بُعد خمسمئة متر من المسجد الفلاني. يعود الشباب ليتجمعوا من جديد. الذي ستأتي ساعته سيموت ولو كان في برجٍ مُشيّد».

في اليوم الثاني يغادر الشاب عبد الرحمن عائداً إلى عندان. يقول جده: «لا يستطيع البقاء هنا. إنه إمام مسجدٍ على صغر سنه، كما أنه يرابط على الجبهة باستمرار. إذا لم يدافع عن ديننا وثورتنا فمن سيدافع عنا؟». في اليوم الثالث يغادر حسن أيضاً، فهو أحد أفراد الشرطة الحرّة ويداوم على الحواجز، ومن الممكن أن يشارك في صدّ أيّ محاولةٍ لتسلل النظام إلى عندان، أو يمنع اللصوص من سرقة المنازل الخالية. يذهب مصطفى وزوجته وأولاده إلى قريةٍ أخرى من قرى إدلب حيث يعيش شقيقه، ويبقى الحاج أبو محمد مع النسوة والأولاد. في اليوم الخامس جاء جعفر إلى القرية، وهو حفيد أبو محمد وشقيق عبد الرحمن محمود. تفرح أمه كثيراً، ويعانقه جده بفخر. يغتسل ويبدل ثيابه. يضعون له الطعام. يسأله جده عن الأخبار فيجيب بهدوء: فلان استشهد وفلان أُصيب... جعفر في السابعة عشرة. كان مرابطاً على جبهة الطامورة: «حاول الجيش التسلل إلى تلة الطامورة. كنا تسعة مقاتلين، أصيب سبعةٌ منهم قائد المجموعة. بقينا ندافع ونحن مصابون إلى أن وصلت التعزيزات وفشل الهجوم». كان الحاج يستمع إلى حفيده بزهو، وكأنه هو الذي يقاتل. يقول أبو محمد: «تلة الطامورة قريبةٌ من عندان وقريبةٌ من نبّل والزهراء، ويحاول الجيش دائماً اقتحامها، لكنهم يلاقون مقاومةً عنيفةً من شبابنا». سألت أبو محمد: «لماذا أنتم على عداء مع نبّل والزهراء؟» أجاب: «نحن لسنا أعداء. كنا في السابق كالأخوة. أنا أعرف الكثيرين منهم وكنا نختلط بهم. عندما انطلقت الثورة كان قسمٌ منهم معها، بل خرجت قلةٌ منهم في مظاهراتنا، لكن الآخرين قمعوهم ووقفوا إلى جانب النظام. كنا نريد الحرية وكانوا يريدون مصلحتهم، وكانت مصلحتهم في مشاركة النظام القتل والقمع».

في أواخر أيار الماضي، قبيل حلول شهر رمضان المبارك، وكانت العائلة قد عادت إلى عندان؛ دخل عبد الرحمن محمود المسجد ليؤم المصلين عندما اخترقت الجدار قذيفةٌ هائلة. تحوّل جسد الشيخ الشابّ إلى مزقٍ من اللحم المشويّ انتشر في فناء المسجد. كانت أمه تبكي بحرقة، بينما كانت دموع أبيه تروي قصة حياته وهو طفلٌ مشاكس، ثم وهو مراهقٌ يشارك في المظاهرات، ثم وهو في حوالي العشرين إمام مسجدٍ ومقاتلٌ وشهيد.

ثورة أهل القرآن

محمد إقبال

سعد بن أبي وقاص جامعٌ صدّر عشرات الثوّار إلى جميع أحياء وشوارع حلب، فلم تكد تخلو مظاهرةٌ أو نشاطٌ احتجاجيٌّ إلا وكان لـ «روّاد سعد» قصب السّبق فيه.

حديثنا في هذا العدد عن أحد مساجد حلب، ليس «آمنة بنت وهب» الذي عرفه القاصي والدّاني بتدنيس الشبّيحة حرمته غير مرّة، ولا «أويس القرني» الذي شهد أعتى المظاهرات وأكثرها قمعاً، كذلك لن نحكي عن جامع الإذاعة ومظاهرته الشهيرة، ولا عن الجامع الأموي الذي لا تزال هتافات متظاهريه يتردد صداها في حلب القديمة. حديثنا اليوم عن جامع لم يشتهر كثيراً، رغم أنه شكّل بطلابه وروّاده السواد الأعظم لأوائل المتظاهرين في أحياء حلب الشرقية.

يقع جامع سعد وسط حيّ صلاح الدين، على مقربة من دوّاره المعروف. اشتهر بدروس وحلق تحفيظ القرآن، مستقطباً طلاباً من كافة أنحاء المدينة والريف أيضاً. خرّج الجامع، خلال الأشهر الأولى من اندلاع الثورة فقط، أكثر من خمسين حافظاً، ليصل مجمل عدد حفاظ القرآن الذين تخرّجوا فيه إلى أكثر من ثلاثمئة، فيما بلغ عدد طلابه قرابة سبعمئة.

مع انطلاق الحراك الشعبيّ بدأ طلاب الجامع بأخذ مواقعهم في الثورة. وقدّر عددهم حينها بأكثر من مئتي طالب، تتراوح أعمارهم بين 15-35 عاماً. ولم يخالفهم في موقفهم ذاك إلا عددٌ قليلٌ رأى في التظاهر ذريعةً للقتل وللجرائم التي لن يتوانى النظام عن ارتكابها بحقّ المعارضين، إلا أن ذلك لم يؤثر على قرار النسبة الأكبر.

ولعلّ الجانب الأبرز الذي ميّز الجامع عن غيره أنه لم يكن نقطة تجمع للمتظاهرين، بل بؤرةً صدّرت الثوّار بمختلف أنشطتهم؛ إذ شكّلت الفئة العمرية الشابة في الجامع، من جامعيّين بكافة الاختصاصات، كالشريعة والكيمياء والطبّ والهندسة وغيرها، روافد خصبةً لتلبية الاحتياجات المتنوعة التي تطلّبها الواقع الثوريّ.

نقطة الانطلاق

كانت نقطة الانطلاق من المظاهرات السلمية، عندما التحق روّاد المسجد بتنسيقية مشاعل الحرية، التي أُسِّسَت عام 2011 بمشاركة عدّة طلاب من الجامع، واشتهرت في ما بعد كإحدى أبرز تنسيقيّات المرحلة السلميّة التي عرفتها مدينة حلب. ولم تقتصر المظاهرات آنذاك على الجامعة والجوامع أو الأحياء فقط، بل تعدّتها إلى المدارس الإعدادية والثانوية. ومن مدرسة بسام العمر بحيّ سيف الدّولة، التي درَس فيها عددٌ من «طلاب سعد»، خرجت عدّة مظاهراتٍ مطالبةً بالحرية.

ومع الاجتياح الأول لمدينة حمص بدأت حلب تستقبل موجةً كبيرةً من النازحين، فهبّ عددٌ من «ناشطي سعد الجامعيين» إلى تشكيل «مجموعةٍ إغاثية» ضمّت عدداً من الفتيات كانت مهمتها استقبال نازحي حمص وتوفير سكنٍ وعملٍ وبعض المساعدات لهم.

ومع التحول الذي شهدته مدينة حلب باندلاع العمل العسكريّ داخلها، قام عددٌ من مدرّسي الجامع بتأسيس كتيبةٍ باسم الشيخ «عبد الفتاح أبو غدة» وقيادتها بشكلٍ مباشر، وتعدّ من أفضل الكتائب سمعةً في المدينة.

وكذلك في الجانب الطبيّ والتعليميّ والمدنيّ وحتى السّياسي، ولعلّ المقام لا يتّسع لذكرها جميعاً؛ بل يكفينا القول إن للجامع فضلاً كبيراً على حلب وثورتها.

الجامع الجامعة!

يقول أحمد سرحيل، وهو أحد من حفظوا كتاب الله في الجامع: «إنّ أبرز ما تميز به أنّه لم يكن مجرّد حلقة لتعليم القرآن فحسب، وإنما كان مدرسةً وجامعة، تعلّم القرآن والحديث والأخلاق وأصول التعامل. جسّدت لنا هذه المدرسة كل نواحي الحياة العملية، بعيداً عن تعقيدات الدّروس النظرية وتفاصيلها المملّة. تعلّمنا الكثير من مشايخنا الذين حرصوا على التربية داخل الجامع وخارجه؛ تعلّمنا الأدب والانضباط في الرحلات والنشاطات مع المدرّسين، وتعلمنا التنافس وأدب الاختلاف الذي لا يفسد للود قضية خلال مبارياتٍ كرويةٍ خضناها مراراً مع معلمينا، وغيرها الكثير من الأمثلة التي لا مجال لذكرها... تعلّمنا كذلك أنّ صاحب المشروع والأهداف السّامية لا يسعى إلى أن يكون وحدَه رُبّان المركب، وإنما يكفيه أن يجهّزه ويصنع قائداً له ثم يدفع به نحو الأمام، ليلتفت مجدداً ويصنع واحداً آخر».

أهل الله وخاصّته!

يقول الشيخ معاذ أبو صالح، وهو أحد مدرّسي الجامع المشهورين: «(أهل القرآن أهل الله وخاصّته) كما في الحديث النبويّ، وذلك ما يفسّر عدم انحراف طلاب (سعد بن أبي وقاص) أو انجرارهم نحو التنظيمات التي تتبنى أفكاراً متطرّفةً بعيدةً عن الإسلام، وتحمل منهجاً غريباً عن السوريين وعاداتهم».

نعم... إنهم أهل قرآنٍ فهموه قبل أن يحفظوه؛ وتخلقوا به بحالهم لا بمقالهم؛ فلا تربية بدون مربٍّ، ولا علم بلا معلّم، وشتان شتان بين من كان شيخه كتابه وبين من كان شيخه عالماً معروف السيرة، معلوم الاسم، مشهور الحسب والنسب!

في العشارة
حيث لم يبايع داعش أحد

فضل مصطفى

أحد شوارع مدينة العشارة

في آخر شهر نيسان الماضي، وأثناء وقوفه في السوق، تعرّض أبو عمير التونسيّ، وهو أحد مسؤولي حسبة داعش في مدينة العشارة، لهجوم مباغتٍ من رجلٍ مجهولٍ طعنه بخنجرٍ طعناتٍ عدّةً أدّت إلى مقتله على الفور، فيما تمكن القاتل من الهرب في شارعٍ من الشوارع المتّصلة بالسوق.

اعتقل التنظيم أكثر من (600) شخصٍ من سكان ذلك الشارع في بحثه عن القاتل، دون أن يعثر عليه، ليضطرّ لاحقاً إلى إطلاق المعتقلين. وعلى خلفية هذه الحادثة عقد مسؤولو القاطع الجنوبيّ، وهو القاطع المتضمّن مدينة العشارة حسب تقسيمات داعش الإدارية في محافظة دير الزور، اجتماعاً مع وجهاء العشارة. وخلال هذا الاجتماع شبّه بعض الدواعش أهل المدينة تشبيهاتٍ مهينة: «أنتم مثل بعض الكلاب المسعورة، ما تشارك بالصيد وبعد الصيد تبوق، وأنتم ما تشاركون بالجهاد ولا تحمون ظهور المجاهدين». وسنّ مسؤولو داعش في هذا الاجتماع قانوناً جديداً في العشارة، يلزم الشهود بملاحقة منفذي الهجمات على عناصرهم وإلقاء القبض عليهم أو قتلهم إن لم يتمكنوا من ذلك، وفي حال أحجم الشهود عن هذا سيلاقي أهل العشارة كلهم عقاباً قاسياً قد يصل إلى القصف بالمدفعية والتهجير.

حمل خطاب مسؤولي داعش غضبهم من قلة المبايعين لهم في هذه المدينة، إذ لم ينتسب إلى التنظيم، خلال عامين تقريباً من سيطرته على العشارة، إلا ثلاثون شخصاً أو أقلّ، حسب ما يؤكد ناشطون من هناك. وقد لاقى نصف هؤلاء حتفهم على جبهات القتال، والنصف المتبقي منهم عديمو الأهمية والتأثير في مجتمع العشارة كما هو حالهم في صفوف التنظيم. هذا الرقم (30) ضئيلٌ جداً بالقياس إلى عدد السكان (50 ألف نسمة قبل سيطرة داعش)، وضآلته مبعث تباهٍ خاصٍّ وغير معلنٍ في أنفس الأهالي ودليلٌ مجازيٌّ بالنسبة إليهم على «قلة عدد المجرمين والحمقى» بينهم، ودليلٌ بالنسبة إلى الدواعش على «قلة الخير وقلة المجاهدين»، حسب ما يكرّر شرعيو داعش ودعاتها في تذمرهم الدائم من فشل وسائل الدعاية والترويج في جذب مبايعين جدد للتنظيم من أبناء العشارة. ورغم تردي الأحوال المعيشية وفقدان الآلاف وظائفهم نتيجة الحرب وممارسات الدواعش المدمرة لاقتصاد هذه المدينة الريفية التي كانت حتى وقتٍ قريبٍ سوقاً مزدهرةً لعشرات القرى المجاورة لها؛ لم تسجل في العشارة حالات انضمامٍ اضطراريةٌ طمعاً بالرواتب الشهرية التي تمنحها داعش.

ويثير فشل داعش في توسيع دائرة المنتسبين إليها في مدينة العشارة أسئلةً عن العوامل التي تقف وراء هذا الفشل. وربما كان انخراط كثيرٍ من أبناء المدينة في صفوف الفصائل المختلفة التي قاتلت داعش وتصدت لهجماتها حتى هجومها الأخير على محافظة دير الزور في ربيع وصيف العام 2014، ومقتل عددٍ منهم أثناء هذا التصدي، سبباً من بين أسبابٍ أخرى يمكن تحديدها بما يلي:

1. بعد إعلانها ربيع العام 2013، وحتى دخولها العشارة في حزيران العام 2014 وإلى الآن، لم تنجح داعش في استقطاب أيّ شخصيةٍ ثوريةٍ (عسكريةٍ أو مدنية) ذات وزنٍ أو تأثيرٍ عامٍّ، يمكن أن يشكل انضمامها إلى داعش سبباً لانضمام آخرين من المتأثرين بها إلى التنظيم.
2. فشل داعش في استغلال التناقضات والتنافس الأهليّ بين المجموعات العشائرية والعائلية المختلفة في العشارة، كما فعلت في مناطق عدّةٍ من دير الزور أثناء محاولاتها التغلغل عبر هذا التنافس إلى النسيج الاجتماعي في كل منطقة.
3. الرأي أو المزاج الاجتماعي العام النابذ للتطرّف قبل الثورة؛ فخلال عشر سنواتٍ (2000–2010) لم يتجاوز عدد المعتقلين بتهم الانتماء إلى تنظيماتٍ سلفيةٍ جهاديةٍ أربعة أشخاص (في حال تجاهلنا الطبيعة التعسفية للاعتقالات).

سيصمد مجتمع العشارة ولا شكّ مزيداً من الوقت أمام مخاطر التورط مع داعش، لكن اليأس والحاجة وتبدد الآمال في خلاصٍ منظورٍ قد تؤدي إلى زعزعة هذا الصمود على نحوٍ غير متوقع.

في واحدٍ من إصدارات داعش الدعائية المتلاحقة من ولاياتٍ شتى عن عملتها المزعومة، والمنشور بعنوان «فرحة المسلمين بعودة الدينار الذهبي»، ظهر ثلاثةٌ من أبناء العشارة، عبّروا عن سعادتهم وامتنانهم «للدولة الإسلامية» بإحيائها هذا الدينار. وكان ظهور هؤلاء مادة سخريةٍ وتندرٍ بداعش والمتملقين لها في العشارة، حيث يعاني الناس من انهيار القدرة الشرائية والكساد والبطالة.

التحيّة في دير الزور
وماذا طرأ عليها في ظلّ تنظيم الدولة؟

سمهر الخالد

كغيرهم من السوريين، طرأت على حياة أهالي دير الزور العديد من التغييرات في أكثر من مجال، فنظروا إليها بأكثر من عينٍ واتخذوا منها أكثر من موقف. ولعل من أظهر تلك التغييرات المظاهرُ الاجتماعية التي تمسّ عاداتهم، ومن بينها التحية، وكان للطابع الدينيّ الجديد أثراً تركه عليها. على أن تلك المظاهر ما زالت متأرجحةً بين الموروث الاجتماعيّ والموروث الدينيّ، لكن بانشقاقٍ مستمرٍّ بينهما كما يبدو.

صار من المعلوم لدى الأهالي أن أكثر عناصر التنظيم لا يلقون السلام عليهم ولا يردّونه، الأمر الذي حزّ في نفوس الكثيرين، فراحوا يسألون عن السبب. يقول أحد سكان مدينة الميادين: «مو كلهم ما يسلّمون. وحسب ما فهمت أنه إحنا فاسقين، يعني قاعدين عن الجهاد، لذلك ما يتسلّم علينا... يقولون أنه بزمن الرسول كان ما يسلّم على الناس اللي قاعدة عن الجهاد». تربط هذا الشاب علاقاتٌ عديدةٌ مع عناصر وقادةٍ من التنظيم، ويعاملونه بطريقةٍ لائقة، لكنه يقرّ بأنهم يزعجون الأهالي كثيراً بهذه المقاطعة. ويضيف أحد الذين سألوا عن الموضوع: «هذه المرّة ليست المعاصي هي السبب، كما يقولون عادةً»، في إشارةٍ إلى الحجة التي يبرّر بها التنظيم الكثير من إجراءاته (معاصي وذنوب الأهالي). وبالمقابل، وفي وقتٍ فرض فيه التنظيم على الرجال تقصير ثيابهم بدعوى أن الثياب الطويلة مظهرٌ للغرور أو للكبر؛ حاول البعض إقناع قادةٍ محليين فيه أن عدم ردّهم السلام هو الغرور، لكن ذلك لم يغيّر شيئاً على أرض الواقع. فقد ظلّ العناصر على موقفهم، وظلّ الأهالي على عادتهم في تبادل السلام دون شرط المعرفة، وهي العادة التي يفخرون بها ويفتقدونها خارج منطقتهم.

وفي السياق ذاته لا يكاد يسلّم أحدٌ من أبناء دير الزور، أو يردّ السلام، دون أن يقع في الحيرة من طريقة التحية التي يفضلها أو يتبعها الشخص المقابل، في وقتٍ راحت تنتشر فيه أشكالٌ جديدةٌ للتحية لم تكن مألوفةً في السابق، كالمصافحة أثناء الجلوس، وملامسة الجباه أو الأكتاف عند المعانقة وتجنب تقبيل الخد، وهي العادات الدارجة بين عناصر التنظيم والمتأثرين بأفكاره، بالإضافة الى من يطلق عليهم وصف السلفيين في العموم. وقد بدأت هذه المظاهر بالانتشار قبيل الثورة، بتأثيرٍ من التيار السلفيّ وعادات الخليج العربيّ التي استقدمها العاملون هناك. وقد ظهر ذلك الأثر في فتراتٍ سابقةٍ بمحاولة فئاتٍ شبابيةٍ إقناع الأهالي بإلغاء استعمال كلمة الرد على الهاتف (آلو) بدعوى أنها كلمةٌ أجنبية. وتقف تلك المظاهر السلفية في مقابل العادات الموروثة في المنطقة، من الوقوف عند المصافحة وتقبيل الخد وغيرها. تعدّ التحية دليلاً على الاحترام المتبادل بين النظراء وإشاعة الأنس بين المتقابلين. ويحظى إلقاؤها، وما يرافقه من مراسم وطقوس، بمكانةٍ مرموقةٍ في الحياة العامة بدير الزور، مع اختلافاتٍ طفيفةٍ بين مكانٍ وآخر، أو جيلٍ وسواه، أو وضعٍ ومناسبةٍ وغيرها. على أن الصيغة الأشهر للسلام هي إطلاق التحية المعروفة «السلام عليكم»، والوقوف أمام الشخص القادم ومصافحته والعودة للجلوس بعد أن يجلس، ثم ترحيب الحضور به بكلمة «مرحبا». وهذه الطريقة أكثر الطرق انتشاراً ورسمية، وتستعمل في جميع المناسبات الاجتماعية كالأفراح والأحزان وغيرها، وتجري بين أوساطٍ واسعةٍ بطقوسيةٍ محافظةٍ وواضحة. ويستعاض عنها في أوقاتٍ وأماكن أخرى بهيئاتٍ مناسبةٍ عديدة، فتستعمل في الطريق الإشارة بالحواجب أو رفع الراس أو بإطلاق بوق السيارة. كما انتشرت بين فئات المتعلمين عباراتٌ أخرى أخفّ وقعاً وأقلّ محليةً، كعبارة «صباح الخير»، لكنها لم تلق رواجاً كبيراً. وفي نظيرها يحتفظ بعض كبار السن بعباراتٍ لم تعد مستعملةً أو معروفة، مثل «الله يصبّحكم بالخير».

من صفحة دير الزور على الفيسبوك 2020

رمضان في دير الزور المحاصرة
صلاة التراويح جلوساً، وتحايلات غذائيةٌ لا تنتهي

أحمد مهيدي

وسط درجات الحرارة المرتفعة وانقطاع الكهرباء وشحّ المياه وأسعار المواد الفاحشة بسبب الحصار الذي يطبقه تنظيم داعش والنظام؛ يعيش قرابة 90 ألف مدنيٍّ في دير الزور رمضانهم الثاني.

«أفطر لتصوم عائلتي»؛ يقول عبد الله، أحد سكان حيّ الجورة، فهو يقضي عشر ساعاتٍ من وقت الصيام بين طابور الخبز وتعبئة المياه ونقلها إلى المنزل والبحث في السوق عن مستلزمات وجبة الإفطار. «يتناول الناس في رمضان وجبتين فقط؛ إفطار وسحور، وهذا يناسب المحاصرين الذين لا يتسنى لهم أكل ثلاث وجباتٍ في اليوم»؛ يقول عبد الله ساخراً. لكنه يأكل وجبةً واحدةً فقط، فستة أرغفةٍ من الخبز بالكاد تكفي عائلته المكوّنة من أربعة أفراد.

طابور المياه الباردة

صيف دير الزور قاسٍ، فدرجة الحرارة لا تقلّ عن أربعين في أحسن الأحوال. ومع غياب الكهرباء يبيع أصحاب المولدات المياه الباردة بخمسين ليرةً للكأس الواحدة ومئةً لليتر. يتجمع الناس بطوابير من مئات الأشخاص لشراء المياه قبل الإفطار بساعة. تتخلى عائلة محمد في القصور عن شحن بطارية الإنارة لتشتري ثلاثة ليتراتٍ يومياً، أما عائلة عمر فلا تشتري حتى وإن امتلكت المال، فالمسافة بين منزلها ومحلات البيع بعيدةٌ ما يجعل المياه تفتر قبل وصولها إلى المنزل، ولذلك تقوم العائلة بوضع كمياتٍ قليلةٍ من الماء في أوانٍ مسطحةٍ (صينية) في مكانٍ ظليلٍ حتى تبرد قليلاً. يقول عمر إن الأهالي ابتدعوا هذه الطريقة حديثاً بعد أن كانوا يعبئون الماء في عبواتٍ بلاستيكيةٍ مغلفةٍ بأكياسٍ رطبةٍ من الخيش (الشوال) ويعلقونها في مكان هبوب الرياح. ندر استخدام هذه الطريقة مؤخراً لأن أغلب العوائل استخدمت أكياس الخيش لإشعال النار للطبخ كما فعلت عائلتي.

اعتادت موائد الأهالي في الحصار على وجود نوعٍ واحدٍ من الطعام، لذا يعدّ رمضان احتفالاً بالنسبة إلى البعض. «بألفٍ ليرة أقمنا وليمةً في اليوم الأول»؛ يقول بسام ساخراً، فقد اشترى مئة غرام من البرغل بخمسمئة ليرة، وربطة بقدونس بمئتين، وعشر حباتٍ من الحصرم بثلاثمئة، لتعدّ والدته شوربة البرغل وسلطةً من البقدونس والحصرم لعدم توافر الليمون وملحه.

سحورٌ بطعم الحصار

مع قدوم رمضان رفع التجار أسعار المواد الغذائية، وخصوصاً الحلاوة التي تعدّ أساسيةً على مائدة السحور في دير الزور، فقد زاد سعر العلبة (400 غ) ليصبح 8 آلاف ليرة. «نقوم بثرد رغيفٍ من الخبز في وعاءٍ مع قليلٍ من الماء وملعقةٍ من الحلاوة»؛ يقول محمد إن هذه هي الطريقة الأمثل لكي تكفي مئة غرام منها عائلته المكوّنة من خمسة أفراد. لا تتسنى لكثيرٍ من العوائل أكثر من وجبةٍ في اليوم، فكميات الخبز التي تباع باتت أقل منها في الفترة الماضية بسبب قلة الوقود اللازم لتشغيل الأفران.

حلويات رمضان

تباع العوامة (اللقم) في السوق بمئة ليرةٍ للقطعة الواحدة. وعلى الرغم من تحضيرها بطحين النخالة بدلاً من الطحين الأبيض، وقليها بزيتٍ رديء، إلا أن سامر يصرّ على إنفاق ثلاثمئة ليرةٍ كلّ يوم ليشتريها لأطفاله الثلاثة مكافأةً لهم على صيامهم. تحلّى العوامة بقطرٍ مصنوعٍ من روح السكر، ولذا تتجنب عائلة أم عمر شراءها خوفاً من مضارّها على صحة طفلها ذي الخمسة أعوام، وتقوم بطبخ البرغل الناعم مع القليل من ظرف العصير (بودرة) وتقدمه لعائلتها. يعي أبناؤها أن هذه ليست مأمونية، لكنها حلوى لذيذةٌ بالنسبة إلى أصغرهم، فهو يعرف من خلالها طعم الليمون والبرتقال والفريز، كما تقول أم عمر.

صلاة التراويح

يذهب أبو علي، ذو الخمسين عاماً، إلى صلاة التراويح وحيداً، فقد استطاع أن يخرج ولديه من الحصار عبر طائرة الهليكوبتر مقابل أربعمئة ألف ليرة. «يخلو المسجد إلا من صفين أو ثلاثةٍ من المصلين، على عكس رمضان الماضي، فقد نزحت الكثير من العوائل»؛ يقول أبو علي ويضيف: «أصلي أربع ركعات، فنقل بدونات المياه مسافة 500 م إلى منزلي في الطابق الثاني أفقدني القوة لإكمال الركعات الأخرى». يصلي الناس -حتى الصغار منهم- جلوساً، ففي اليوم الأول من رمضان سقط أحد المصلين في مسجد الفتح في حيّ القصور مغمىً عليه بسبب الإعياء، ولذا طلب الإمام من المصلين أداء صلاة التراويح جلوساً وثماني ركعاتٍ فقط.

وكالات DW

الرقة تختنق بصمت

فاضل العيساوي

أم خليل امرأةٌ من الرقة، جاءت تسأل ناشطين إغاثيين سابقين شيئاً يساعدها في اطعام أولادها الأربعة، وهم «الأيتام اللي ما لهم أحد غير الله» حسب ما تقول. ولم تجد -مثل كثيرين غيرها- جواباً لسؤالها اليائس: «يعني ما بي شي بنوب برمضان؟».

وسوى الغارات الجوية على المدينة، لا يهتم الجائعون كثيراً بأخبار الحرب وتقدم أعداء داعش نحو الرقة. شاغلهم الأول أن يمرّ اليوم بسلام وأن يتاح لهم شيءٌ ليكون وجبة إفطار في أيام الصيام الحارّة والمرهقة، و«الكئيبة» أيضاً حسب ما يقول عبد الله، وهو ناشطٌ إغاثيٌّ سابق، لأن «الناس يأسانة ومحبوسة وخايفة، وفوق كل شي داعش ملاحقتنا وكاتمة أنفاسنا».

خلال عامين ونصف من سيطرة داعش تغيّرت الرقة كثيراً، من «بلد خير لا يجوع فيه أحد» إلى سجنٍ واسع يزداد فيه عدد المعوزين كلّ يوم. وفي هذا العام أكملت داعش ما بدأته بتدمير آخر الأنشطة الخيرية المتبقية، حتى تلك التي تموّل من أطراف أهلية، مثل مطبخ خيريٍّ كان يقدّم أكثر من خمسة آلاف وجبة للمحتاجين كلّ يوم، بل أوقفت بعض الأعمال الخيرية التي أنشأتها هي على سبيل الدعاية في أوقاتٍ سابقة. كما منعت المقتدرين من دفع الزكاة إلى مستحقيها مباشرةً، وحصرت أداء هذه الفريضة بجهازها الخاصّ المسمى «ديوان الزكاة». ويجيب شرعيو داعش عن تساؤلات الناس عن سبب توقف هذا الديوان عن مساعدة المحتاجين بأن «الدولة في عسر هذه الأيام»، بعد أن خسرت أكثر من نصف مواردها المالية نتيجة قصف المواقع النفطية الواقعة تحت سيطرتها، بالتزامن مع زيادة نفقات الحرب التي يخوضها التنظيم على جبهاتٍ كثيرة. ولتكتمل أعذار الدواعش الواهية قُصِف المقرّ الرئيسيّ لديوان الزكاة في مدينة الرقة الشهر الفائت.

يفسّر كثيرٌ من السكان إمساك داعش وبخلها في مساعدة المحتاجين برغبة التنظيم في دفع أعدادٍ أكبر من الرجال إلى الانضمام إليه والقتال في صفوفه طمعاً بالرواتب الشهرية. فالانتماء إلى داعش هو الوظيفة الوحيدة المتاحة تقريباً. ويقدّر موظفٌ سابقٌ في مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل عدد العاملين «لدى الدولة» - الدولة السورية قبل الثورة- بأكثر من 100 ألف عامل، أكثر من نصفهم ما زالوا يقيمون في المحافظة، لا يستطيعون استلام رواتبهم من مناطق سيطرة النظام. بالإضافة إلى آلافٍ آخرين ممن اعتادوا العمل في لبنان ويعجزون اليوم عن السفر إلى هناك بعد أن منعت داعش خروج الناس من مناطق سيطرتها. وأسهمت ندرة البضائع المختلفة بسبب انقطاع الطرق، وكذلك انهيار الليرة السورية، في ارتفاع الأسعار إلى حدودٍ يعجز عندها معظم السكان عن الشراء. ولتكتمل الصورة مأساويةً أضيف إلى حشود العاطلين عن العمل أكثر من ألفي عاملٍ في بيع وتكرير النفط الخام نتيجة الاستهداف المتكرّر لصهاريج النفط القادمة من محافظة دير الزور من قبل طائرات التحالف الدولي، وأضعافهم من أصحاب المهن الحرّة المتنوعة.

> حسب ما يقول ناشطون من الرقة، يقدّر عدد المقيمين اليوم في الأجزاء الواقعة تحت سيطرة داعش من المحافظة بـ(650) ألفاً، منهم حوالي (50) ألفاً من النازحين من محافظاتٍ أخرى. ويقدّر عدد النازحين من الرقة إلى المحافظات الواقعة تحت سيطرة النظام بـ(100) ألف. فيما يقدّر عدد اللاجئين من محافظة الرقة خارج الأراضي السورية بـ(125) ألفاً.

وبالرغم من المساحات الشاسعة للأراضي الزراعية المروية في محافظة الرقة، تتراجع إنتاجيات المحاصيل السنوية عاماً بعد عام في ظلّ سيطرة داعش، نتيجة العوامل المعروفة من غلاء أسعار البذور والأسمدة والمحروقات، مما أدى إلى تقلص المساحات المزروعة. وتضاف إلى هذا تصرفات مسؤولي داعش في دواوين أو أجهزة الزراعة والريّ والخدمات؛ فقد أدى بيع «ديوان زراعة» داعش بذار حنطةٍ فاسدٍ إلى فشل موسم القمح في قرىً عدّة، وأدت أوامر أبو يوسف المصري -أمير سد الفرات- بفتح عنفتين إضافيتين، إلى جانب عنفتين تفتحان عادةً في هذه الأشهر من السنة، بهدف زيادة الطاقة الكهربائية المتولدة، إلى انخفاض منسوب المياه المحجوزة في البحيرة خلف السد مما حرم عشرات القرى المطلة على البحيرة (مثل قرى العميرات؛ مشرفة الصعب؛ أبو هريرة؛ الكرين؛ البوعاصي؛ غزالة شرقية؛ غزالة غربية؛ السلوم؛ العارف) من المياه اللازمة لريّ الأراضي الزراعية فيها، ليلجأ فلاحو هذه القرى إلى الزراعة البعلية في أرضٍ ظلت مرويةً لعقود.

المادة	السعر (ل.س)
الخبز (1كغ)	200
لحم ضان (1 كغ)	2200
فروج (1 كغ)	1600
رز (1 كغ)	600
سكر (1 كغ)	500
شاي (1 كغ)	3400
زيت قلي (1 لتر)	1100
بندورة (1 كغ)	175
خيار (1 كغ)	75
صابون (لوح)	250
مازوت (1 لتر)	140
بنزين نظامي (1 لتر)	550
أسطوانة غاز	25000
أمبير كهربائي (8 ساعات يومية على مدار الأسبوع)	700

عدسة حليم كاوا - خاص عين المدينة

رمضان في حلب المحرّرة

حليم كاوا

رمضان الحاليّ هو السادس خلال الثورة والخامس على تحرير حلب، منذ دخل الجيش الحرّ المدينة في أول أيام الشهر المبارك من عام 2012 وسيطر على جزءٍ كبيرٍ منها.

ترافق قدوم رمضان هذا العام مع شنّ قوّات النظام هجوماً عنيفاً على حلب التي تشهد أحياؤها عشرات الغارات الجوية يومياً، تستخدم فيها شتى أنواع الأسلحة، كالبراميل المتفجرة التي يلقيها الطيران المروحي، والصواريخ التي يلقيها الطيران الحربي، وقذائف الهاون وصواريخ الفيل (أرض-أرض)، بالإضافة إلى سلاحٍ جديدٍ وهو خرطومٌ طويلٌ يحوي بداخله مواد متفجرةً ويزداد تأثيرُ انفجاره بازدياد طوله. ويخشى أهالي المدينة من استعمال هذا السلاح داخل الأحياء السكنية حيث ستكون قوته التدميرية مضاعفة، بعد أن قام النظام باستخدامه قبل أيامٍ على جبهة البريج شمال حلب.

وتتركز معظم الضربات الجوية والمدفعية حالياً على الكاستيلو، وهو الطريق الوحيد الواصل بين حلب وريفها أو الأحياء القريبة منه. وقد تمّ قطع الطريق نارياً عدّة مرّاتٍ وأصبح المرور منه مخاطرةً كبيرة. ويخشى أهالي المدينة من إطباق الحصار عليهم في حال تقدم قوات النظام على طريق الكاستيلو من جهة البريج وحندرات والملاح أو تقدم وحدات حماية الشعب من جهة حيّ الشيخ مقصود.

التقينا أبو محمد، أحد الباعة في حيّ بستان القصر، فقال: «معاناتنا كبيرةٌ جداً في هذا الشهر الفضيل، ولكنها لا تشكّل أيّ شيءٍ أمام معاناة سكان المناطق المحاصرة كداريا ومضايا وغيرها. نحن نصوم لساعاتٍ أما هم فيصومون لأشهرٍ وربما لسنين. أسأل الله أن يفرّج عنهم ويفكّ ضيقهم، وأتمنى ألّا يأتي شهر رمضان في السنة المقبلة إلا وتكون مدينة حلب قد تحرّرت وأُبعد كابوس الحصار، فأنا أخشى حصوله».

وفي بيانٍ لها دعت غرفة عمليات فتح حلب السكان إلى الحذر وعدم التجمع لأداء صلاة التراويح في ظلّ الهجمات المستمرّة للنظام على الجوامع، ولكن هذا لم يحدث، فإصرار الحلبيين على ممارسة طقوس رمضان وشعائرهم الدينية كان أولويةً بالنسبة إليهم حتى وإن شكّل التجمع لصلاة التراويح خطراً على حياتهم.

كما لم يمنع القصف العنيف وارتفاع الأسعار أصحاب المحلات التجارية من فتح محلاتهم، ولم تخلُ الأسواق من أصنافٍ اعتادها الأهالي في كلّ رمضان، كالسوس والتمر الهندي والمعروك.

إلا أن موائد الإفطار لم تعد كما كانت عامرةً بما لذّ وطاب، والكل يعرف أن حلب مشهورةٌ ومتميزةٌ بتفنّن أهلها بطهي الطعام، حتى كان يقال عنها «أم المحاشي والكبب». إلا أن الأوضاع المعيشية خلال السنوات الأخيرة -وهذه السنة تحديداً- غيّرت مائدة الطعام الحلبية كثيراً، وذلك بسبب غلاء الأسعار وارتفاع صرف الدولار إلى عشرة أضعاف ما كان عليه عام 2011. يقول أبو محمد: «رمضان هذا العام هو الأصعب خلال السنوات الخمس الأخيرة، فالأسعار ارتفعت كثيراً وما زالت أرباحنا على ما هي. والمبالغ التي نجنيها لا تسدّ احتياجاتنا بالكامل».

وأسهم القصف المستمرّ والعنيف لقوّات النظام على الكاستيلو -شريان المدينة الوحيد- في رفع الأسعار في حلب المحرّرة بسبب صعوبة إدخال المواد الغذائية وبالتالي قلتها في الأسواق. ووضع المحروقات ليس أفضل فقد ارتفعت أسعارها للسبب نفسه، مما شكّل مشكلةً لأهالي المدينة لما للمحروقات من أهميةٍ كبيرةٍ لديهم إذ تعدّ المصدر الأساسيّ والوحيد للطاقة الكهربائية.

بالتأكيد لم يعد شهر رمضان كما تعوّد أهالي حلب، فقد أصبح من المستحيل أن تجتمع الأسرة كاملةً على مائدة الإفطار كما كانت سابقاً، فلا تخلو عائلةٌ حلبيةٌ من شهيدٍ أو معتقلٍ أو لاجئٍ إلى خارج سوريا. يروي لنا أبو العم أبو ياسين فيقول: «هاجر أقرباؤنا جميعهم إلى تركيا، حتى ابني الوحيد هاجر إلى إسطنبول مع زوجته وأطفاله للعمل هناك، ولم يبقَ في حلب أحدٌ من العائلة إلا أنا وزوجتي».

يحلم الحلبيون بأن تعود أجواء رمضان كما تعوّدوا عليها في السابق، كما يأملون أن تعود مدينتهم واحدةً لا تفصل بين الحيّ والآخر أيّ جبهة قتال، وألا يأتي شهر رمضان من العام القادم إلا ويعود كل المهاجرين واللاجئين ليبنوا مدينتهم من جديد.

القصف وغلاء الأسعار يغيّران عادات الإدلبيّين في رمضان

مريم أحمد

سوق مدينة إدلب في رمضان - خاص عين المدينة

حلّ رمضان السادس ومعاناة السوريين تزداد. لم يستطع الشهر الكريم لمّ شمل العائلة حول المائدة، ولم يستطع أن يزيّنها بأفخر الأطعمة، وأقبل دون الطقوس التي اعتادها السوريون خلال السنوات التي خلت.

افتقد شهر الرحمة إلى الرحمة في قلوب التجار، بعد أن ارتفعت أسعار العملات الأجنبية في بداية الشهر الجاري ليصل الدولار الأميركيّ إلى 650 ليرةٍ سورية، ما أدّى إلى ارتفاع جنونيٍّ في أسعار السلع الغذائية، وبخاصّةٍ الأساسية منها، مع غياب الرقابة والمؤسّسات التموينية وشحّ مادة المازوت. بالإضافة إلى فقد الأمان بسبب تقصّد النظام السوري قصف الأسواق المزدحمة والتجمعات، ناهيك عن الأوضاع الأمنية المتردية. كلّ هذه الأسباب جعلت رمضان هذا العام بلا أجواء رمضانية؛ بلا ازدحام ولا تسوّق ولا سهراتٍ ولا تجوّلٍ لباعة المشروبات الشهيرة (العرقَ سوس، التمر هندي ..).

وخلت الموائد ليس فقط من الحلويات والمكسرات واللحوم والأسماك، بل من الكثير من أنواع الفواكه التي أصبحت حكراً على الأغنياء. وقد دفع ارتفاع أسعار المواد الأساسية جمعية حماية المستهلك التي تنشط في مناطق سيطرة النظام إلى إصدار تقريرٍ بيّن أن أسعار معظم المواد والسلع الغذائية تضاعفت منذ شهر رمضان الماضي، إذ ارتفعت أسعار بعض المواد بنسبة 50 في المئة ووصل بعضها الآخر إلى 460 في المئة.

وعن ذلك يحدثنا محمد (38 سنة)، أحد سكان مدينة جسر الشغور، قائلاً: «بلغ ثمن كيلو السكر 600 ليرةٍ بالتزامن مع انقطاعه من السوق لمدّةٍ طويلة، مما أدّى إلى ارتفاع ثمنه بعد إعادة طرحه. بينما وصل ثمن كيلو الشاي إلى 4 آلاف ليرة، وليتر الزيت النباتي إلى 1100 ليرة، وكيلو الأرز إلى 750 ليرة، وتتفاوت الأسعار من منطقةٍ إلى أخرى. وسبب الارتفاع ليس فقط الدولار، بل جشع التجار الذين يرفعون الأسعار مع تراجع الليرة ولا يخفضونها عند تراجع الدولار. والأهمّ هو غياب الجهات الرقابية والتنظيمية للسوق».

وكان الوضع الأمنيّ سبباً رئيسياً لغياب الطقوس الرمضانية عن مدينة إدلب والمناطق المحرّرة الأخرى التي يستهدفها الطيران السوريّ والروسيّ، وبخاصّةٍ الأسواق، ما يؤدي إلى وقوع المجازر كما في مجزرة مدينة إدلب في 4 حزيران الجاري، والتي راح ضحيتها 12 مدنياً وعشرات الجرحى إثر استهداف السوق الشعبيّ بعددٍ من الصواريخ الفراغية. الأمر الذي يدفع الأهالي إلى عدم الخروج من منازلهم أو تبادل الزيارات والدعوات على الولائم كما جرت العادة في السنوات السابقة، وخاصّةً في ريف المدينة حيث كانت تنتشر الولائم اليومية العامة في القرى والبلدات، لكن الوضع الاقتصاديّ والقصف عطلا هذه العادة.

وتعتمد غالبية سكان مدينة إدلب وريفها على بعض المحاصيل الزراعية مثل البقوليات والبرغل والقمح الذي بات مادةً رئيسيةً في التخزين، لأنه يدخل في صنع كثيرٍ من الأطعمة. ويعتمد السكان أيضاً على السلل الغذائية التي توزّعها المنظمات الخيرية -وتحوي بشكلٍ أساسيٍّ على الحبوب والسكر- كحلٍّ بديلٍ عما عجزوا عن تأمينه في شهر رمضان، علها تسدّ شيئاً من رمقهم وتوفر عليهم جانباً من قائمة المشتريات الضرورية. ولكن هذه المساعدات توزّع على نسبةٍ ضئيلةٍ من السوريين، فلا تسمن ولا تغني من جوع.

حدثتنا أم عبد الكريم (41 عاماً)، وهي نازحةٌ تعيش مع عائلتها في مدينة إدلب: «هربنا من القصف والمجازر في ريف حلب الجنوبيّ، بعد رحلة نزوحٍ مستمرّةٍ من قريةٍ إلى أخرى بحثاً عن الأمان، ليستقرّ بنا الحالُ في مدينة إدلب التي تعيش هي الأخرى حالةً من عدم الأمان. يعمل زوجي بأجرٍ يوميٍّ لا يتجاوز ألف ليرة. وقد حرمنا ضيق الحال أموراً عدة، فأصبحت اللحمة حلماً بعد أن تجاوز سعر كيلو لحم الغنم 3800 ليرة. أقف عاجزةً أمام دموع أطفالي عندما يطلبون منّي أن أعدّ لهم الكبة أو السمبوسك أو ورق العنب، تلك الوجبات التي كانت تزيّن موائدنا، لكن ما باليد حيلة. أصبحنا نعتمد على المعكرونة والبرغل والعدس والمواد الأخرى التي توفرها لنا المنظمات الإنسانية، أو لأنها الأرخص في السوق والأقلّ تكلفةً في إعداد الطعام».

تلخص استغاثة سكان مدينة إدلب حال أكثر من خمسة مليون سوريٍّ يعيشون الشهر الكريم تحت قصف الطائرات والمدافع ومع وطأة الجوع والحصار وقصص الموت التي تتوالى، وحكايا الحرمان من أدنى مقوّمات الحياة والاستمرار.. التي يعيشها الكبار والصغار.

المانعة كهوية، التطبيع كخيانةٍ استنسابيةٍ

بكر صدقي

لا يمرّ علينا يومٌ لا ننضربُ فيه بخبرٍ على أمّ رؤوسنا. لا أقصد فقط أخبار المجازر اليومية التي يرتكبها، بحقّ السوريين، العدو الأسديّ - الروسيّ - الإيرانيّ. فهذا مما يبذل «المجتمع الدولي» كل جهوده لتطبيعه في وعينا، أي تعويدنا عليها بفعل تواترها اليوميّ الرهيب، وتحول ضحاياها إلى مجرّد أرقام بلا ملامح.

أقصد، بالأحرى، أخباراً من نوع إهداء المجرم الروسيّ فلاديمير بوتين دبابةً كان غنمها الجيش الأسديّ في معركة السلطان يعقوب، في إطار حرب إسرائيل على لبنان في العام 1982، إلى إسرائيل. يبدو أن الرجل اعتبر تصرّفه بما لا يملك التصرّف به أمراً طبيعياً بعد «مأسسة» تبعية نظام الكيماويّ لموسكو في الاتفاق المشين الذي وقعه بشار الصيف الماضي.

وإذا ربطنا الدلالة الرمزية الكبيرة لهذا الحدث بآخر سبقه قبل أشهر قليلة، ويفوق في أهمية دلالته دلالة الأول، تمثل في عقد اجتماع للحكومة الإسرائيلية في هضبة الجولان السورية المحتلة؛ أصبحنا جاهزين، عملياً ونفسياً، لتلقي الضربة الجديدة على الرأس، وهذه المرّة من أبواق ما يسمّى بالممانعة التي التزمت صمت القبور أمام الحدثين السابقين، كما ستواصل صمتها هذا أمام خبر المناورات العسكرية المشتركة بين قاعدتي أشدود الإسرائيلية وحميميم السورية - الروسية، والتي ستبدأ قريباً وفقاً لموقع ديبكا الإسرائيلي.

سيتنفس أبواق الممانعة الصعداء، أخيراً، بعد كلّ ذلك الكبت، فيفتحون النار على أمين معلوف بسبب ظهوره التلفزيونيّ على إحدى القنوات الإسرائيلية. فيلتهب كتبة جريدة الأخبار الإيرانية التي تصدر في بيروت حماساً ضد التطبيع، وتتشكل لجنةٌ بيروتيةٌ مقاومةٌ لمعاقبة الكاتب العالميّ، بقيادة الممثلة المعادية للسامية/ المؤيدة للنازية الأسدية نضال الأشقر، ومعها رهطٌ من صحبها من المثقفين اللبنانيين المؤيدين لتدمير سوريا وقتل شعبها وتجريفه خارج الجغرافيا على يد طفلهم المعجزة في قصر المهاجرين.

يا لفظاعة ما ارتكبه أمين معلوف! تطبيعٌ مع العدو الصهيوني الغاشم! (مين مفكّر حالك حتى نسمحلك بالتطبيع؟) ألا يعرف عضو الأكاديمية الفرنسية الحائز على جائزة غونكور أن التطبيع حكرٌ على الممانعين وحدهم، بوصفه فعل مقاومة؟ ألا يدري أمين معلوف أنه يجوز لإيران الخمينية الحصول على السلاح، عبر الوسيط الإسرائيليّ، في ما سمّي «إيران غيت» إبان الحرب العراقية - الإيرانية، في ثمانينات القرن الماضي، ولا يجوز للسوريين الذين تحاصرهم قوات بشار الكيماوي أن يتلقوا إغاثةً غذائيةً ألقتها لهم الطائرات الإسرائيلية، بعدما تراجعت الدول العظمى عن خطتها في إلقاء المساعدات على المناطق المحاصرة من الجوّ بسبب عدم حصولها على موافقة بشار الكيماوي؟ ألا يعرف أمين معلوف أن تطبيعه خيانةٌ موصوفةٌ مقابل الحسّ المقاوم لدى رامي مخلوف الذي ربط أمن نظام الشبيحة والقتلة بأمن الشقيقة إسرائيل، منذ ربيع العام 2011؟

التطبيع، إذاً، ليس تعريفاً مجرّداً ينطبق على كلّ من يتعاطى مع إسرائيل بأيّ مستوىً أو مجالٍ أو شكل، بل هو، كما نفهم من الأمثلة المذكورة أعلاه، فعلٌ استنسابيٌّ يتحدد بهوية الفاعل لا بفعل التطبيع بذاته. فالممانعون، هويةً، يمكنهم الحصول على السلاح من إسرائيل لمقاتلة العراق، ولا يسمّى هذا تطبيعاً. يكفي أن تكون إيرانياً أو شيعياً -مثلاً لا حصراً- لتكون طليق اليدين في فعل ما يعدّ تطبيعاً وخيانةً إذا ارتكبه خصومك، أو حتى جهة حيادية لا خصومة لها مع العِرق المانع، كحال أمين معلوف. ويحقّ لرامي مخلوف، ابن خال رامي البراميل، الاستنجاد بإسرائيل ورعاتها لإنقاذ نظامه من الشعب السوريّ، في حين أن حصول جرحى سوريين على معالجةٍ طبيةٍ، لم يطلبوها، في المستشفيات الإسرائيلية هو دليلٌ قاطعٌ على أن ثورة الحرية والكرامة التي أطلقها الشعب السوريّ ليست غير حملةٍ إسرائيليةٍ لإسقاط رامي مخلوف ورامي البراميل معاً.. وهكذا..

فهل يحقّ لنا الاستغراب، بعد كل هذا، أمام الخبر الذي نشرته صحيفة الشرق الأوسط السعودية عن «ازدحام العيادات النفسية في دمشق، وإقبال على المهدئات»؟ وفي العنوان الفرعيّ نقرأ: «سوريا تحتاج إلى 500 طبيب نفسي، والموجود 40 فقط».

هذا في دمشق، ووفق تقديراتٍ غير دقيقة. فهناك احتياجاتٌ متزايدةٌ للطب النفسيّ في كل سوريا والمنافي، إذا كان هناك، مثلاً، من يبلغ به العته حدّ القول بكردية منبج و«مابوك»ية اسمها!

والله جننتونا لو..

المثقف التطهريّ

أحمد عيشة

عرفت التطهرية أو البيوريتانية، في القرن 16، كمذهب مسيحيٍّ بروتستانتيٍّ إنكليزيٍّ يجمع خليطاً من الأفكار الاجتماعيّة والسياسية واللاهوتية، ولا يقصر أداء العبادة على المناسبات بل يوجب تطبيقها في الحياة كلها، لتغزو كامل الشؤون بما فيها الناحية السياسية وفق ما يهديهم الله، إلى درجةٍ يعتقد فيها الطهرانيون أن الله اختارهم وفضلهم على غيرهم. وغاية هذه الحركة هي تطهير الكنيسة ورجوعها إلى الأصول المستندة إلى الإيمان بالكتاب المقدس مصدراً وحيداً للعقيدة الدينية، لأنه كلام الله وفق ما يعتقدون، دون الأخذ بأقوال القديسين ورجال الكنيسة، وبالتالي من واجب الإنسان المؤمن أن يكون سلوكه في الحياة مطابقاً لما ورد في الكتاب المقدس.

ما يهمنا ليس التطهرية كمذهب دينيٍّ وأخلاقيّ، وإنما كحركة أصولية ادّعت أنها تمتلك الحقّ الذي يأتيها وحدها بطرق إلهامية-إشراقية. إذ كثيراً ما نصادف هذه الأفكار خلال الثورة السورية في عقل وتنظير الكثير من السياسيين السوريين كنزعة تعالٍ على الناس، تتلاقى كثيراً مع التطهرية. هؤلاء الذين يجدون أن خطاب وممارسة الجميع/العامة قد حادا عن جادة/مسطرة الصواب التي يمتلكونها وحدهم، ولأسباب لا يعرفها إلا الله وهُم. وقد تشكلت بناءً على ذلك مجموعاتٌ لا رابط بينها سوى خطابهم الذي نجد له جذوراً في انتمائه إلى أحزاب وأيديولوجيات كلاسيكية تتميز بتصوراتها الشمولية وادعاءاتها تقديم الإجابات والحلول لمشاكل العصر الجديدة اعتماداً على مخزونها الذي يحوي كل الإجابات. وتشترك هذه المجموعات -بكلّ تلاوينها الإسلامية والقومية واليسارية- في الادعاء بمعرفة الحق والقدرة حتى على رؤية الإبرة في كومة القش، فكيف لا يمكنها تحديد المواقف الصحيحة... من الثورات حتى علم الفلك.

التطهريّ «مفكرٌ» شامل؛ ففي العلوم العسكرية، التي لم يقرأ أغلبهم كتاباً عنها، بل كان يكتفي بسرد «السوالف» أو «ثرثرات» في أوقات الفراغ، نجده يستكشف الأسباب الخفية وراء الانتصار في المعركة الفلانية وسرّ الهزيمة في المعركة العلانية بصرامة لا يدخلها الشك أبداً وكأنه يقرأ صفحة كتاب أمامه. وتجده هو ذاته -أو شريكه في «المذهب»- يحلل الأسباب العميقة الكامنة وراء فشل جولة المفاوضات هذه أو عدم وضوح خطاب المجموعة السياسية تلك. كما يمكنه أن يكون -في الوقت ذاته- خبيراً في صناعة الدساتير. وفي حالات تواضعه قد يقول إن هناك بعض الجوانب الإيجابية في خطاب الآخرين، ولكنهم لم يستغلوها جيداً فلم يتمكنوا من الوصول إلى الموقف الصحيح، وفي النهاية أضاعوا فرصةً «تاريخيةً» كبرى على الشعب كان يمكن أن توصل إلى النصر. إذ تمتلك هذه المجموعة المذهبية مسطرةً خاصّةً غايتها تسفيه الآخرين وخطابهم وعملهم من مكانها الافتراضيّ. لكن الأدهى من ذلك أن مسطرتها متغيرةٌ وفق الأحوال والراتب، فغالباً ما تجد «المحلل» نفسه يغيّر آراءه إلى درجة التناقض بلغته اليابسة لقراءة الحدث نفسه في أوقاتٍ مختلفة.

كذلك يسعى هؤلاء المذهبيون الجدد «مالكو المعرفة الشاملة» إلى تكوين كتلةٍ كهنوتيةٍ جديدةٍ بعد أن أعلنوا البراءة من كتلهم السابقة لأنها لم تعد تقدم أيّ منافع، فالإسلاميّ تحول باتجاه ما يُسمّى الإسلام المعتدل المتنوّر، والقوميّ واليساريّ نحو الليبرالية. وكلهم متفقون على عباراتٍ رائجة، بعد أن أفقدوها محتواها، فجميعهم مع الدولة المدنية الديمقراطية (هذه الصفات رائجةٌ اليوم)، غير مدركين حيادية الدولة وطبيعتها كجهاز يؤدي وظيفته -كأيّ جهاز- باستقلاليةٍ وحيادٍ عما يصفه به الناس.

وبتشكيلاتهم «الجديدة» لم يتخلّ هؤلاء «التطهريون» عن جذورهم الأيديولوجية المغذية والمنتجة لاغترابهم عن المجتمع، والداعمة بشكلٍ ما للاستبداد، غير مدركين التغيرات السريعة التي أطلقتها الثورة، بغضّ النظر عن التعثرات الكبرى التي حلت بها، **فلقد أنزلت الثورة السياسة من العروش إلى القاع، فصارت الغالبية في حديثها اليومي تتفاعل مع قضاياها، وتحاول وفق الإمكانات المتاحة القليلة جداً المشاركة في صنع مصيرها.** ومشاركة الناس هذه، بعد عقودٍ من انعدامها، يتخللها الكثير من النواقص والعثرات التي تتسبّب لها بالنكسات، لكنهم مصممون على الاحتفاظ بما انتزعوه وهو المشاركة في صنع المستقبل والمصير.

تختلف ممارسة النقد كثيراً عن توجيه النصائح والأوامر وإلقاء العتب واللوم على البسطاء الذين لا يملكون الخبرة أو الدهاء والنفاق المصلحيّ المتورّم، الذين يشاركون لأول مرّةٍ في مسعىً لتغيير شكل ونظام حياتهم، ولا بدّ من تحمل المسؤولية معهم ومشاركتهم قراراتهم بدلاً من الابتعاد والاكتفاء بتوجيه التعليمات. وسلوك المثقفين هذا يبقيهم كجسدٍ غريبٍ ومتعالٍ على المجتمع مهما امتلكوا من جوانب من الحقيقة في خطابهم. وعملياً فإن نزوعهم النخبويّ وامتيازاتهم تقرّبهم من الاستبداد أكثر

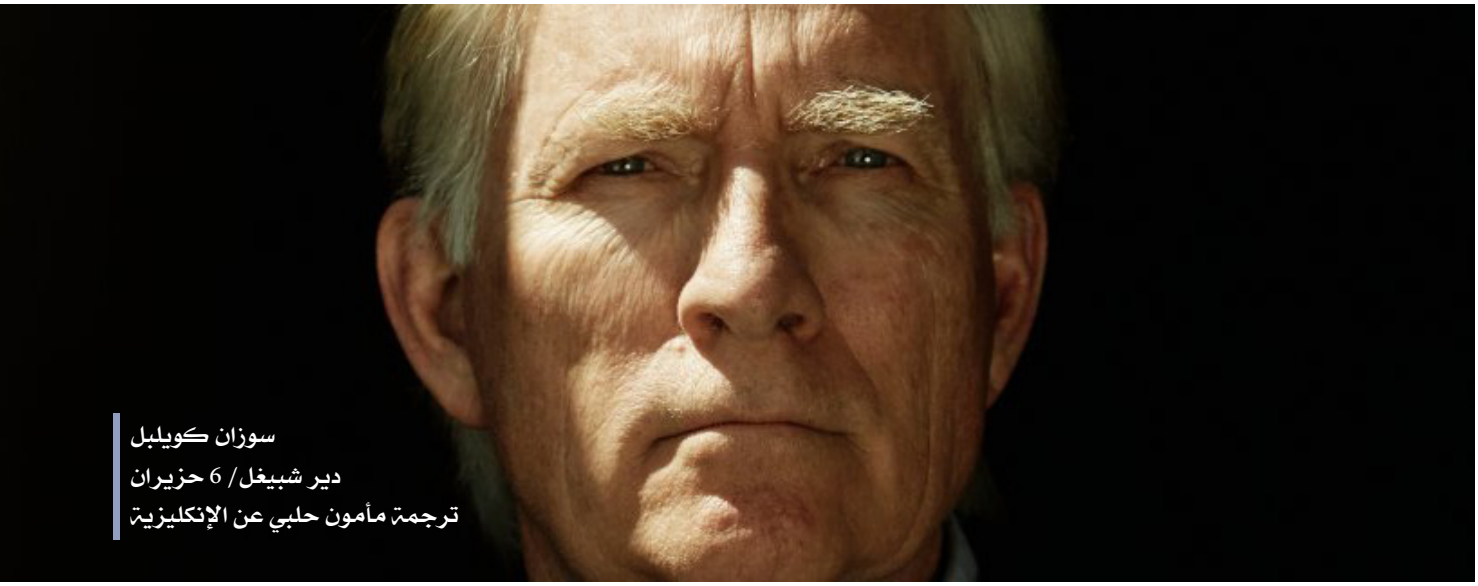

سوزان كويلبل
دير شبيغل/ 6 حزيران
ترجمة مأمون حلبي عن الإنكليزية

مختصٌّ أميركيٌّ في جرائم الحرب يُعدّ لملاحقة مجرمي سوريا

في عام 2012 ساعد ديفيد كراين على وضع تشارلز تايلور، ديكتاتور ليبيريا سيّئ الصيت، خلف القضبان. وقد حوّل انتباهه حالياً إلى سوريا، وهو يشرف على جمع قاعدة بياناتٍ ضخمةٍ عن جرائم الحرب التي ارتكبها بشار الأسد.

أهو أمرٌ مسموحٌ أن يتمّ قتل بشار الأسد؟ «نعم، إنه لأمرٌ مسموح»، يقول الأستاذ الجامعيّ ديفيد كراين، «في ظروفٍ معينة». يطرح كراين السؤال على أحد طلابه أثناء محاضرة، ثم يجيب عن السؤال بنفسه فوراً، دون أيّ عاطفةٍ ظاهرة. كان كراين في وقتٍ ما كبير هيئة الادعاء في الأمم المتحدة، لكنه حالياً أستاذ القانون في جامعة سيراكوز في ولاية نيويورك. بصفته محامياً، فإنه عندما يرى الأسد لا يرى وحشاً بل يرى قضية. وهي قضيةٌ يريد أن يقدمها للمحكمة. يبلغ عدد سكان سيراكوز 145000 نسمة. وهي تقع في ما يُسمّى رسْت بيلت (حزام الصدأ)، وهي منطقةٌ صناعيةٌ تبعد تقريباً أربع ساعاتٍ بالسيارة عن مدينة نيويورك. لجامعة سيراكوز سمعةٌ حسنة، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالقانون. ففي هذا المكان أقام كراين، بعد وقتٍ قصيرٍ من بدء الحرب الأهلية في سوريا، نوعاً من مكتبٍ للادعاء العام الطلابيّ. هنا يستعدّ الطلاب، جنباً إلى جنب مع أساتذتهم، لليوم الذي من المأمول أن تُحاكَم فيه جرائم الحرب التي ارتكبها الأسد أمام محكمةٍ دولية. إنهم يسمّون هذه المحكمة «مشروع المساءلة السورية». مظهر كراين غير لافت، فهو يرتدي قميصاً كاشف اللون وبنطالاً صوفياً رمادياً ونظاراتٍ سوداء. لكنه يمتلئ حيويةً عندما يتكلم عما يحرّكه: الفرصة التي تُتيح له استعمال الإمكانات القانونية لمواجهة فظائع لا يمكن تخيلها. في أوقاتٍ كهذه، يتحوّل الأستاذ الودود إلى محامٍ شرس، غير هيّابٍ من السفر إلى أشد الأماكن إتعاباً في العالم.

كراين هو من ادّعى رسمياً، في عام 2003، على أحد أقوى ديكتاتوريّي أفريقيا، تشارلز تايلور، في مدينة فري تاون، سيراليون. في 2012 حُكم على تايلور بالسجن خمسين عاماً. يعتبر رئيس ليبريا السابق مسؤولاً عن موت أكثر من 100000 شخص، وهو محتجزٌ حالياً في سجنٍ إنكليزيٍّ، يُرجّح أنه لن يغادره أبداً.

سجل تفصيليّ

يأمل كراين وتلاميذه أن تقرّر إما الأمم المتحدة أو سوريا ما بعد الحرب أن تُنشَأ ذات يوم محكمةٌ خاصّةٌ للادعاء على مجرمي الحرب في النزاع السوريّ.

وبالفعل، هم منهمكون بتجميع الأدلة كما لو أن محكمةً من هذا النوع موجودةٌ الآن. يقارنون بين مصادر من مختلف أنحاء العالم، ويتحققون من صحة تقارير شهود العيان، ويتصلون مع منظمات حقوق الإنسان، ويستعرضون تقارير حكومية ومقالاتٍ في وسائل الإعلام بشكلٍ كامل وشامل قدر الإمكان. وهم يحتفظون بسجلاتٍ دقيقةٍ عن هذه الحرب، ويقومون بعملياتٍ توثيقٍ يومية، موجدين أكمل سجلٍّ في العالم عن جرائم الحرب في سوريا. إنه فهرس فظاعات، يرسل كراين باستمرارٍ طبعاتٍ محدّثةٍ منه إلى الأمم المتحدة والمحكمة الجنائية الدولية. الشباب الذين يسهرون طوال الليل لأداء هذه المهمة

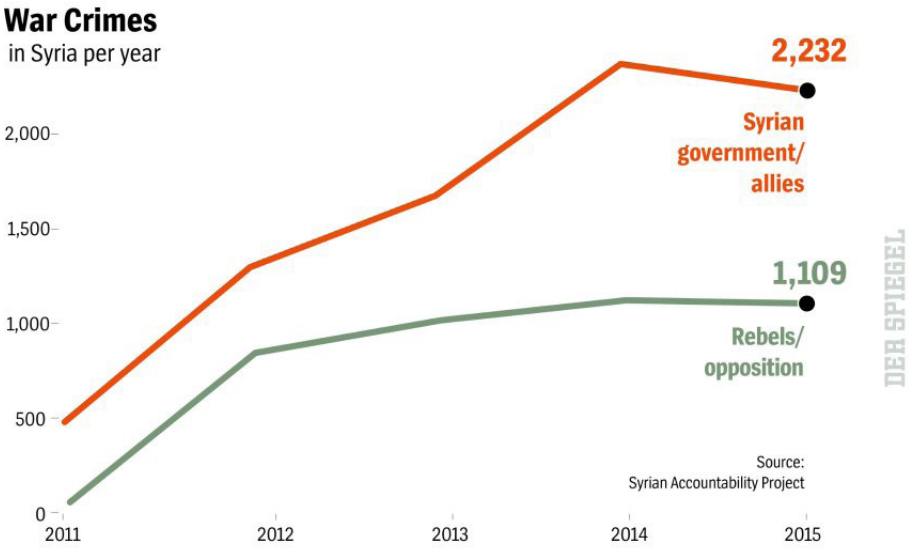

مرشحون لشهادة الدكتوراه، مثل مولي وايد من ميشيغان، البالغة من العمر 24 عاماً. حتى عندما كانت طفلة، كانت مولي مسحورةً بالقتلة المتسلسلين وهشاشة الحضارة. مع مشروع المساءلة تُحفّز مولي بفكرة العمل على أمرٍ ما «سيغيّر العالم» بدلاً من أن ينتهي في سلة المهملات. تتألف قاعدة البيانات حالياً من 17000 صفحة. يُراد منها بث الرعب في قلوب الجناة، وخصوصاً أفراد النظام المسؤولين عن أبشع الفظائع. مع حلول كانون الأول 2015 كان المحامون قد سجلوا 12252 حادثة، ثلثاها تقريباً كان من الواضح أنها ارتكبت من قِبل جنود الأسد. لكن قادة من تنظيم الدولة الإسلامية، وعناصر من الجيش الحرّ، وجناة آخرين، مسجلون في القائمة أيضاً. واحدٌ من أصل كلّ خمسة تجاوزاتٍ تمّ ارتكابها من قبل خصوم الأسد لا يمكن ربطها بوضوح بجهةٍ محددة، لأنه لا المتمردين ولا عناصر تنظيم الدولة يرتدون بدلاتٍ نظامية أو يضعون شاراتٍ تدل على الجهة التي يتبعون لها. يقول بيتر ليفرانت، رئيس المشروع: «من المؤكد أنه لا يوجد أيّ طرفٍ من أطراف هذه الحرب بريء». عندما يتعلق الأمر بالقانون الدوليّ، ما هو حاسمٌ ليس حجم الخسائر أو حجم الضرر أو عدد الضحايا، وإنما حقيقة أن جريمة حرب قد ارتُكبت. يمسك لفرانت بيده الطبعات الأولى عن عمليات الاتهام. نسخة اتهام بشار الأسد مكوّنةٌ من عشرين صفحة، وتتضمن «جرائم ضد الإنسانية» و«جرائم حرب».

في وثائقهم، يفصّل التلاميذ بأناةٍ كيف أنه في آذار 2011 قام سهيل سلمان حسن، قائد الحرس الجمهوريّ في دمشق، بإعطاء الأوامر بإطلاق النار على متظاهرين غير مسلحين، وكيف أن القائد العام، الرئيس بشار الأسد، كان يقود هجماتٍ ممنهجةً ضد سكانٍ مدنيين. هذه الهجمات مفصّلةٌ باليوم، والقرية، والمدينة والمنطقة الإدارية. يخصّص المؤلفون فصلاً للمفقودين، البالغ عددهم 130000 شخص على الأقل، ولطرق التعذيب التي تمارسها أجهزة الأسد. وتتدرّج هذه الطرق من تكسير العظام وصولاً إلى حرق الناس وهم أحياء.

مكتب كراين، في الطابق السادس في الجامعة، صغير، ويحوي على رفوفٍ من خشب البلوط وطاولةٍ صغيرةٍ ودون نباتات. لا توجد في المكتب أشياءٌ ترمز إلى شهرته أو إنجازاته المهنية. مع ذلك، الجميع

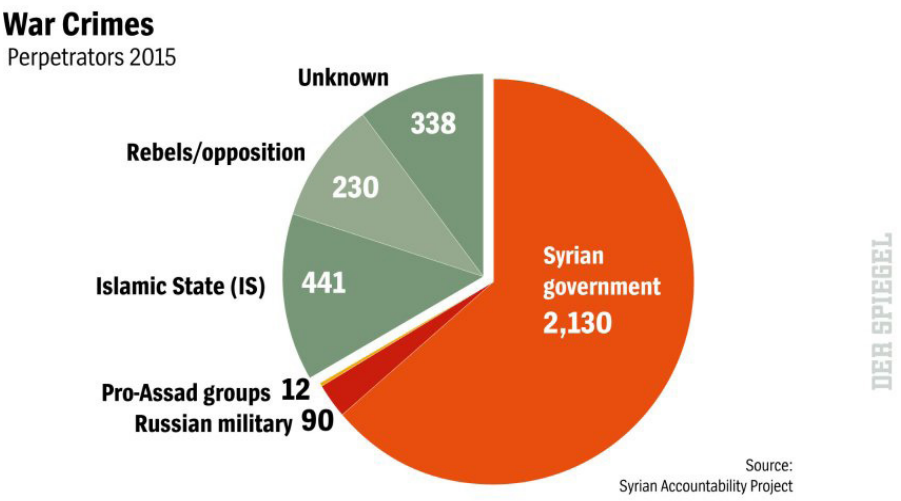

في سيراكوز يعرفونه، وفي عالم الناس الصغير الذين يلاحقون مجرمي الحرب هو ذائع الصيت. عندما أُدين تايلور بجرائم ضد الإنسانية فيما يسمّى محاكمات «الماس الدم» كان ذلك يوماً سعيداً لكراين. المداخلات التي قدمها كراين أمام مجلس الأمن والمفوضية الأوروبية بخصوص قضية «قيصر» لاقت أصداء هائلة. قيصر هو اسمٌ مستعارٌ لمصوّرٍ عسكريٍّ سوريّ. لشهورٍ عديدة، كان قيصر يهرّب أدلة: صور سجناء تمّ تجويعهم حتى الموت وبدت عليهم دلائل التعذيب. يتضمن مخزون الصور 55000 صورة عن 11000 جثة، تثبت كيف أن هؤلاء السجناء قد «قُتلوا بطريقة صناعية» في زنازين التعذيب الأسدية. المادة التي كانت بحوزة قيصر تمّ إيصالها في البداية بواسطة المتمرّدين السوريين إلى الحكومة في قطر، وقامت شركة قانونية بريطانية بالتعاقد مع كراين لصالح القطريين. بصفتهم خبراء مستقلين، كُلّف كراين وخبيران قانونيان آخران بتحديد إن كانت الصور حقيقية. «الصور حقيقية مئة في المئة» يقول كراين، مضيفاً أن قيصر حقيقيٌّ أيضاً. يقول كراين إنه أمضى أربعة أيام في التحدّث مع مصدر الصور. لم يكن قيصر يريد مالاً. وعندما رأى أحد أصدقائه بين الموتى الذين كان عليه تصويرهم قرّر الهرب. وهو يعيش حالياً في مكان ما في أوروبا بهويةٍ مستعارة.

الجرائم الأميركيّة

في ظلّ التركيبة السياسية الحالية ليس ثمة فرصةٌ لخطة كراين للنجاح، فحليفا سوريا، روسيا والصين، صوّتا عدّة مرّاتٍ في مجلس الأمن ضد إنشاء محكمةٍ مختصّةٍ بجرائم الحرب في سوريا. لأنه ابن ضابطٍ أميركيٍّ، فقد عاش لمدّةٍ في جنوب ألمانيا. عندما كان في الثانية عشرة زار مركز اعتقال «داشاو» مع عائلته. يقول كراين: «ما أزال أشمّ رائحة الرعب». في ذلك الوقت كان كراين فخوراً بأن الأميركيين كانوا يدافعون عن الحرية في أوروبا، لكنه حالياً يجد أنه من الصعب، في أغلب الأحيان، أن يكون فخوراً بأمته. يقول عن حرب العراق 2003 إنها كانت «لسببٍ واحدٍ فقط، النفط». أما في خصوص قضية تايلور فإن كراين يكشف عن أن تحقيقاته كانت تعرقَل لأنّ تايلور، كما تبين لاحقاً، كان يعمل لصالح وكالة الاستخبارات العسكرية الأميركية بالإضافة إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، وكانتا تريدان مواصلة التعاون معه. يحسّ كراين بخجلٍ شديدٍ من حقيقة أن بلده لم يوقّع على قانون المحكمة الجنائية الدولية. وهو يعتقد أنه أمرٌ غير عاديٍّ أن أكبر مجرمي الحرب في العالم -الولايات المتحدة والصين وروسيا- لم يُطلَبوا للمساءلة أبداً لأنهم يستفيدون من حقّ النقض «الفيتو» في مجلس الأمن. وهو ينقل عن الرئيس الأميركي السابق جورج دبليو بوش قوله إنه إن تطلب الأمر مثول جنديٍّ أميركيٍّ واحدٍ أمام المحكمة الجنائية، فإنه سيدخل الأراضي المنخفضة (مقرّ المحكمة الجنائية الدولية).

حتى الآن، قلةٌ قليلةٌ من الناس قد انتبهوا إلى سجل جرائم الحرب الذي يجري إعداده في سيراكوز. مع ذلك، لدى كراين الخبرة في عمليةٍ من هذا النوع. وهو يقول إن الطريق إلى العدالة طويلٌ ومليءٌ بالتراجعات، لكنه يمكن أن يحدث. علينا ألا ننسى أن كراين قد نجح في هذا الطريق من قبل.

جاذبيّة داعش

محمد عثمان

صدر هذا الكتاب مؤخراً عن مكتب عمّان لمؤسّسة فريدريش ايبرت البحثية، وهو يضمّ أوراق مؤتمرٍ دوليٍّ مصغّرٍ بعنوان «سر الجاذبية: داعش، الدعاية والتجنيد»، نظّمته المؤسّسة في حزيران 2015.

أثناء الإعداد للمؤتمر رأى منظّموه أن من الضروريّ فهم عدم تجانس أتباع التنظيم، فقسّموهم إلى ثلاث مجموعات؛ 1. الجهاديين المحليين من مناطق يسيطر عليها التنظيم، كسورية والعراق، 2. القادمين من الشرق الأوسط والبلدان الإسلامية، 3. الجهاديين الغربيين.

وفي البداية يرى الباحث المتخصّص حسن أبو هنية أن جاذبية التنظيم وقدرته على التجنيد تعودان إلى ستة أسباب رئيسية: 1. فشل الدولة القطرية في تحقيق طموحات شعوبها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وسقوطها في الدكتاتورية التي دعمتها مؤسّسةٌ دينيةٌ مستتبعةٌ ومترهلة، 2. بروز النزعة الطائفية في صراعات المنطقة، وخاصةً بعد اندلاع الثورة السورية، واستثمار داعش في الأسس الهوياتية السنّية، 3. رمزية الخلافة الإسلامية، 4. مناهضة الإمبريالية الغربية في عالم ذي قطبٍ واحد، 5. ثورة الاتصالات والشبكات الاجتماعية التي استثمرتها التنظيمات الراديكالية لبث رسالتها الفكرية والإعلامية ولعمليات التعبئة والتجنيد، 6. الثورات المضادة للربيع العربيّ، والقمع الوحشيّ الذي مارسته بعض الأنظمة وفاقم الشقاق المجتمعيّ وأغلق الباب أمام التغيير بالطرق السلمية.

أما حسان الصفدي فيقدّم تصوّره عن داعش في الحالة السورية، فيرى أن التنظيم هنا أقلّ تجذراً من العراق، حيث قادته وحاضنته التي عانت من ممارسات الحكومة الطائفية وميليشياتها عندما غابت حركات المقاومة العراقية عن ساحة التأثير والفعل، بينما وقف الثوّار السوريون والجيش الحرّ في مواجهة داعش، بل إن لها منافساً من البيت الداخليّ نفسه في سورية (جبهة النصرة) في حين ورثت كامل قواعد تنظيم القاعدة في العراق. بالإضافة إلى الوسطية الشائعة عن طبيعة الإسلام السوريّ وعلماء الشريعة فيه. ولولا بطش النظام المفرط وتنكّر العالم لنصرة الثورة لما وجد هذا الفكر طريقه إلى البلاد وإلى بعض أهلها، الذين لم ينتموا إلى هذا التنظيم إلا بسبب ضعف التمويل، أو لانفراط عقد فصيلٍ عسكريٍّ ثوريّ، أو بسبب الإحباط من الموقف الدوليّ، ناهيك عن انضمام بعض أصحاب السوابق الذين رفضتهم التشكيلات الثورية واحتفى بهم التنظيم.

ويركّز عثمان المختار على الحالة العراقية لداعش، فيؤكّد، من خلال ملاحظاتٍ عيانيةٍ ودراسة نماذج، أن أهم الأسباب التي دفعت السنّيين إلى أحضان التنظيم هي الظلم والاضطهاد والتمييز على أسسٍ طائفية، فإذا أضيف إليها اليأس من التغيير بالوسائل السلمية الداخلية أو الجهود السياسية المدعومة من الخارج، أمكن أن نفهم كيف يندفع شبانٌ غاضبون إلى صفوف القوّة الأكثر عنفاً وفاعليةً على الأرض. وأخيراً ما استطاع التنظيم تأمينه، في بعض المناطق، من المساعدات المختلفة للأهالي، وعيشهم الآن في «أمنٍ» نسبيٍّ بالمقارنة مع ماضي العيش في ظلّ الميليشيات شبه الحكومية وإتاواتها واعتقالاتها وإهاناتها المتنوّعة.

أما حالة الأردن فيتناولها وائل علي البتيري، الذي يرصد انشقاق التيار السلفيّ الجهاديّ هناك بين تأييد جبهة النصرة، وهو ما فعله بعض كبار الرموز وكان أبرزهم أبو محمد المقدسيّ، وبين تأييد داعش أو بيعتها، وهو ما فعله عمر مهدي زيدان وسعد الحنيطي وآخرون. ويبدو أن تيار داعش هو الأرجح بين القواعد السلفية الجهادية في الأردن، بالإضافة إلى استقطابه لعددٍ من غير المتدينين سابقاً، لدوافع لا تخرج عن ما سبق شرحه.

ويعترف عبد الله المالكي بجاذبية داعش لشرائح من المجتمع السعوديّ، وذلك لأسبابٍ أهمها أن التنظيم يحاكي السردية ذاتها التي قامت عليها الدولة السعودية الثالثة، ولا سيما مع تجربة (الإخوان) من البدو الذي وطّنهم الملك عبد العزيز في مستوطناتٍ (الهجَر) وأخضعهم لعمليةٍ كثيفةٍ من التأهيل السلفيّ المقاتل الذي قام به «المطاوعة» واعتمد مفاهيم التكفير والجهاد والولاء والبراء. حتى اصطدموا أخيراً مع الملك نفسه وسياساته الحديثة والبراغماتية، وكفّروا الدولة بسبب علاقاتها مع البريطانيين، وحكموا بانحراف أكثر أفراد المجتمع.

يخلص الكتاب إلى أن الاستراتيجيات العسكرية وحدها قد تقلل من قدرات التنظيم لمدّةٍ وجيزة، ولكنها مسألة وقتٍ حتى تعاود هذه الظاهرة البروز بشكلٍ أو بآخر. ولذلك فإن مكافحة المجموعات المتطرّفة بكفاءةٍ تقتضي الالتزام بحلولٍ طويلة الأمد لمعالجة عددٍ من المظالم الجدية التي تسهم في التطرّف، ولوقف الصراعات العنيفة التي تمزّق عدّة دولٍ في المنطقة. وتشمل الاستراتيجية المطلوبة: إنشاء هياكل للحكم الرشيد والمساءلة؛ تعزيز العدالة الاجتماعية للتغلب على شعور شرائح سكانية بالتهميش؛ الاستثمار في التعليم الأساسيّ والعالي؛ تشجيع التعددية وتعزيز الجهات الفاعلة المعتدلة من الإسلام السياسيّ؛ معالجة وافية لقضايا العائدين من التجارب الجهادية وتجنب إعادة إنتاج الظاهرة في السجون.

النقابيّ الشيوعيّ بدر الدين شنن وضابط المخابرات محمد شوشة

وحدةٌ وطنيةٌ تدحر «الإرهاب»

في غفلةٍ من الوعي المتمرّس تسلل إبليس البرجوازية الصغيرة إلى عقل «المناضل النقابيّ» وزيّن له أن ما بدأ يموج في العالم العربيّ منذ مطلع 2011 هو حركاتٌ شعبيةٌ للتحرر من الظلم والاستعباد. ففي 14 آذار 2011 يكتب من هولندا: «.... حتى حدثت الثورة الشعبية في تونس وقدّمت بتجربتها الرائدة نمط للثورة.... أدى إلى تحييد الجيش وهرب الديكتاتور. ثم حدثت الثورة الشعبية في مصر.... ثم حدثت الثورة الشعبية في ليبيا.. لتقدم تجربة ثورية أخرى. لم يُتح الديكتاتور «قذاف الدم» للثورة أن تتمتع بالنمط الشعبي السلمي وذلك لاستخدامه السلاح.... ما أدى إلى أن تضطر الثورة للدفاع عن نفسها بحمل السلاح. وخلال نفس الزمن اندلعت الاحتجاجات الشعبية في اليمن، التي تتطور بسرعة إلى ثورة شعبية ضد الديكتاتور علي عبد الله صالح. إن الشارع السوري لن يبقى زمناً أكثر، خاوياً من الجماهير الغاضبة، المطالبة بحقوقها الديمقراطية وبالعدالة الاجتماعية».

كيف أمكن لعقلٍ محصّن بكل حيل الديالكتيك أن تفوته حبائل «المؤامرة» التي بدأ الإعداد لها قبل 2011 بسنوات، حسبما سيكتشف بدر الدين لاحقاً عندما سيستعيد وعيه الحصيف فيقول، في 2013/4/11: «من يقول إن النظام هو الآن كما كان قبل 2011 هو إما واهم أو مخادع. إن النظام يتغير.. وعملياً يتغير.. بفعل استحقاقات اللحظة السياسية.. وبفعل التفاعل السياسي الديمقراطي الداخلي». طبعاً النظام تغيّر عملياً، فتحوّل من استخدام الرصاص إلى الطائرات وصواريخ السكود إلى السلاح الكيميائي؛ مو هيك يا معلم بدر؟ وفي 2014/12/7 يقول النقابيّ الحلبيّ: «ثم مع تدفق المجموعات المسلحة من مختلف بلدان العالم دخلت حلب الدائرة النارية الأوسع. وقد انطلق منذ سنتين الهجوم الإرهابي الدولي الكاسح على المدينة. ولولا مقاومة القسم الكبير من السكان والجيش في المدينة للهجوم، لتفوق الهجوم الإرهابي الدولي على ما قام به كل من هولاكو وتيمورلنك قبل ستة قرون». وفي 2015/7/13 يكتب: «ومن اللافت، أنه كلما تصاعدت الحرب في سوريا دون جدوى، وتصاعد صمود الجيش السوري.. والشعب السوري.. يتعقد اللغز في إصرار أمريكا المتواصل على رحيل الرئيس وتجاهلها حق الشعب السوري بتقرير مصيره.. ويزداد تعقيداً في رفض الرئيس الرحيل». وفي 2016/5/31 يذكرنا المعلم بدر بأبرز معطيات المشهد السوريّ العسكريّ الكارثيّ: «انتهاك قائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط للسيادة السورية والقانون الدولي، والعبور من تركيا إلى الأراضي السورية، بدون علم وموافقة الحكومة السورية، والقصف الإرهابي المتواصل لأحياء حلب الشمالية والغربية بعشرات الصواريخ والقذائف». طبعاً حلب مدينةٌ فريدة! فهي لا تحوي على أحياءٍ شرقيةٍ وجنوبية، وأحياء السكري والكلاسة والصالحين والشعار وغيرها هي من رسم الخيال المريض للقنوات المغرضة.

ولكن مسك ختامنا للمعلم بدر هو ما كتبه في 2004/11/4 عن تجربة اعتقاله عام 1983: «قال أحدهم: لنفعلها به ونترك الدم يسيل من مؤخرته. قال ثانٍ: أحضروا زوجته وسيرى كيف ستُخيطها ذكورنا. قال المقدم محمد شوشة: ألا يكفي كل هذا؟ كبّر عقلك وتعاون معنا من أجل حماية الوطن. هذه الغرفة شهدت رجالاً كالجمال.. ولكنهم بعد أن تكسّرت عظامهم أصبحوا أكثر طواعيةً من الخِراف.. ».

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

من القامشلي - عدسة عثمان - خاص عين المدينة